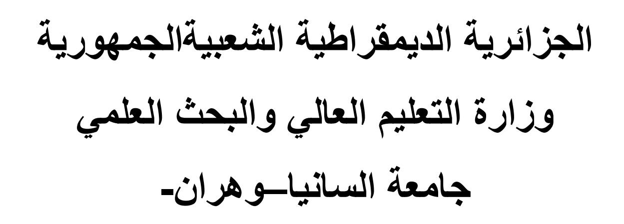


الجزائرية الديمقراطية الشعبيةالجمهورية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة السانيا–وهران-



كلية الآداب و اللغات و الفنون

قسم اللغة العربية و آدابها

مشروع الحكاية الشعبية في الجزائر

جمع، تصنيف، دراسة.

بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستير:

حكايات الأولياء والصالحين في الجزائر
لالة تركية نموذجا
دراسة نفسية تحليلية

من إعداد الطالب :

بوقلمونة مصطفى

أعضاء لجنة المناقشة:

د. ابن حلي عبد الله........رئيسا

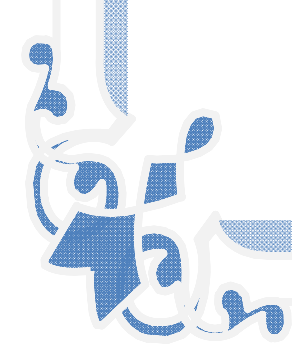
د. زاوي تيجاني...........مشرفا

د . بوعزة عبد القادر......مناقشا

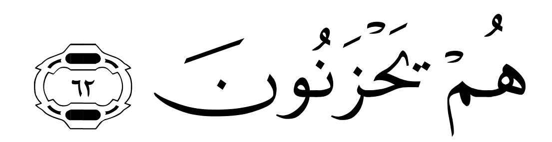
د. مختاري خالد...........مناقشا

السنة الجامعية

2012-2011



أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا



سورة يونس : 62



إلى روح الوالد الطاهرة "محمد" رحمة الله عليه .

إلى من تعبت وصبرت وتحملت أعباء الحياة من أجلي، إليك يا أمي الحنون .

إلى جميع أفراد عائلتي وأخص بالذكر الكتكوتة "هديل" .

إلى كل الأصدقاء والزملاء .

إلى روح الولية الطاهرة "لالة تركية" .

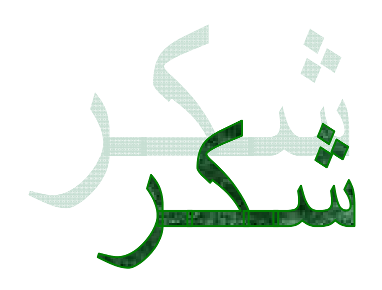
إلى عائلة "لالة تركية" .

إلى كل من علمني أبجديات المعرفة طيلة مشواري الدّراسي .

إلى كل من أحبهم و أحبوني في الله جميعا .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل .

بوقلمونة مصطفى .



أشكر الله على عموم نعمه الذي منحني الصحة والعافية ووفقني إلى إنجاز هذا العمل المتواضع.

وأتقدم بالتقدير الخالص لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور المشرف زاوي تيجاني الذي لم يبخل علي بتوجيهاته واقتراحاته طوال فترة إشرافه على هذا البحث .

كما أتقدم بجزيل بالشكر إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه المذكرة وتصويبها .

أعترف بالجميل لكل الذين قدموا لي يد المساعدة وأخص بالذكر عائلة لالة تركية الذين فتحوا لي بيوتهم وأناروا لي الطريق في إنجاز هذا البحث بمعلوماتهم الوافرة والقيمة حول هذه الولية .

كما أتقدم بشكري الخاص إلى المشرف على زاوية لالة تركية حفيدها "دحماني الحاج علي" الذي فتح لي أبواب الزاوية طوال فترة إنجاز هذا البحث .

مقدمة

مقدمـة:

يذهب البعض إلى وصف الأدب الشعبي بالأدب الهابط، مجردينه من أية قيمة فنية فهو عندهم مجرد حكايات عجائز وأدب عوام، خال من أية قيمة حقيقية، مما يجعله يشكل عقبة في سبيل استمرار الفكر وتطور البشرية.

والحقيقة أن هذا الطرح عند البعض الأخر خاطئ ولا يعبر إلا عن قصور فكري وضيق في الأفق، فإذا لم يكن للأدب الشعبي أي مذاق فكري أو عمق فني، وكان ثقيلا على قلوب البعض، فهو عند البعض الأخر أقرب الأشياء المحببة للنفس، وصورة من أصدق الصور الدالة على مكنون جوهرها. وإذا كان البعض قد نظر إليه نظرة احتقار وازدراء فهو عند البعض الآخر يعد المرآة التي تكشف تركيبة وبيان النفس الإنسانية وسموها، أو لنقل هو انعكاس للحياة الإنسانية في الماضي مثل ما هو صوت الحاضر المدوي وصدى له، فالأدب الشعبي يعتبر - كلون من التراث أو كشكل من أشكال التعبير الشعبي - نقطة تحول هامة في الأدب العالمي كله، فلقد أصبح من الحقائق المؤكدة بأنه لا يوجد أدب في العالم إلا وقد تأثر بالأدب الشعبي الذي أفرزته المجتمعات المختلفة، فالكل تأثر بالكل والكل أفرز عطاءه الأدبي الإنساني العظيم، وإذا فكلما اتسعت أفاق الفنان انفتحت أمامه مجالات عديدة من الرؤى الفنية لواقع الحياة، حياته ككائن حامل للثقافة، وحياة مجتمعه كوحدة أساسية في بنية المجتمع الإنساني ككل، على أساس أن الإنسان هو محور الوجود ومركز الإبداع الإنساني.

إنه لا يمكن أن نتصور حياة دون الأدب الشعبي، ففي داخل كل منا شد وجذب بين السلوك الشعبي والسلوك غير الشعبي، فالإنسان يخضع دائما في تفكيره وشعوره لسلطة المجتمع والثقافة.

ومن ألوان هذا الأدب اخترت الحكاية الشعبية والتي تشغل - بمختلف أنواعها- حيزا هاما في الأوساط الشعبية لاسيما حكايات الأولياء والصالحين التي تزخر بها كل منطقة من مناطق هذا الوطن.

ولمّا كان المجتمع الجزائري كبيرا ومساحة الجزائر شاسعة بحيث لا تخلو أي قرية أو مدينة من ضريح أو ولي يحرسها، وجدت من الصعوبة بما كان الإلمام بجميع حكايات أولياء الجزائر ودراستها.

وأمام هذا الأمر وجدت نفسي مجبرا على أخذ حكايات إحدى أولياء الجزائر كنموذجا ثم دراستها، وكان هذا النموذج هو الولية الصالحة لالة تركية حارسة تيهرت.

وبما أننا نعيش في زمن العولمة الذي اندثرت فيه تلك السهرات العائلية الدافئة -التي كان يحيط فيها أفراد الأسرة بالأم أو الجدة للاستماع الى حكاية من الحكايات الكثيرة-وحل محلها التلفاز وأجهزة الإعلام التي دخلت كل البيوت، فكان واجبا علينا حماية وحفظ هذا التراث من الضياع.

ولأن تراث ولي من الأولياء هو جزء لا يتجزأ من تراث هذا الوطن، ولا ينفصل عنه، بل يشكل ثراءه وتنوعه، ويعزز تميزه واستمراره، كتراث هذه الولية، ومن أجل حمايته وحفظه من الضياع والاندثار وقع اختياري لهذا الموضوع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الدافع الذاتي أيضا سببا في اختيار هذا الموضوع، وذلك لانتمائي - بدون تعصب- إلى منطقة وعشيرة هذه الولية ومعرفتي بتراثها الذي هو جزء من تراث هذه المنطقة.

وقد اقتضت مني طبيعة الموضوع ان استعين بالمنهج النفسي، محاولا من خلاله استقراء حياة المجتمعات الشعبية وأمالها وتطلعاتها، وذلك من خلال المرويات أو الحكايات التي ابتدعها وجدانها أو انتقلت إليها فتبنتها وعبرت بها عن ألامها وأمالها .

أما عن الدراسة فقد قسمتها إلى مدخل وثلاثة فصول ومدونة للحكايات التي جمعت.

ففي المدخل المعنون ب: نبذة تاريخية عن انتشار حكايات الأولياء والصالحين في الجزائر أشرت فيها إلى الحقبة العثمانية التي عرفت فيها حكايات الأولياء والصالحين انتشارا واسعا وذلك راجع الى انتشار الطرق الصوفية في هذه الحقبة والتي كانت تحي

ظاهرة موالد الأولياء ووعداتهم، كما أشرت فيه كذلك إشارة وجيزة إلى لالة تركية بين التاريخ الحقيقي والخيال الشعبي للمجتمع التيهرتـي .

أما الفصل الأول الموسوم ب: الوعدات الموسمية في الجزائر والذي تضمن مبحثين أسبقتهما بتوطئة عرفت فيها هذه المفاهيم: الوعدة، الزردة، النشرة، كما أشرت فيها إلى تداخل هذه المفاهيم مع اصطلاحات أخرى متداولة بمناطق عديدة في القطر الجزائري.

وفي المبحث الأول الذي عنونته ب: الوعدات في غرب وجنوب الجزائر، وذلك لاشتهار هاتين الناحيتين بالوعدات أكثر من المناطق الأخرى، وتعرضت فيه إلى وعدات سيدي أمحمد بن عودة، وسيدي يحي، ولالة تركية بالغرب الجزائري، وإلى وعدات سيدي أحمد المجذوب، و سيدي الشيخ، ومولاي عبد القادر الرقاني بالجنوب الجزائري.

أما المبحث الثاني الموسوم ب: الوعدة: دوافعها ووظائفها، فقد تناولت فيه أولا: الدوافع العديدة التي أدت بالأوساط الشعبية بالانخراط في هذه الاحتفالات أو الوعدات وثانيا: أشرت إلى الوظائف المختلفة التي تؤديها هذه الوعدات لأفراد المجتمع في جميع المجالات، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية....الخ

أما الفصل الثاني فقد وسم ب: مراتب الأولياء وكراماتهم في ضوء المجتمع الشعبي والذي قسمته أيضا إلى مبحثين:

فالمبحث الأول تعرضت فيه إلى تعريف الولاية لغة واصطلاحا كما أشرت فيه إلى شروط اكتساب الولاية، ثم تطرقت إلى مراتب الأولياء وذلك حسب نسبهم وحسب ثقافتهم.

أما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه بعض كرامات الأولياء الذين تزخر بهم الجزائر، مع الإشارة إلى بعض كرامات لالة تركية، كما تناولت فيه علاقة الأولياء بالجن وذلك للتمييز بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان.

أما الفصل الثالث فقد ركزت فيه على دراسة بعض النماذج التي جمعتها حول لالة تركية في ضوء التحليل النفسي، مع الإشارة –طبعا- إلى نبذة تاريخية عن حياة هذه الولية

وكان هذا عنوان المبحث الأول، أما المبحث الثاني فعنونته ب: دراسة النماذج، والذي أخذ حيزا كبيرا في هذا الفصل.

أما المدونة فقد ركزت فيها قدر المستطاع، جمع أكبر عدد ممكن من الحكايات الشعبية التي تروى عن لالة تركية مستعينا في ذلك بأهلها الملازمين لها والعارفين بها، وذلك وفقا للقاعدة التي تقول: "أهل البيت أدرى بالبيت"، كما حاولت فيه كذلك جمع بعض الحكايات التي تروى عن بعض أولياء الجزائر.

ومن أجل توثيق النماذج التي جمعتها حول هذه الولية استعنت بالوسائل السمعية والبصرية أثناء عملية الجمع، أما النماذج الأخرى فبعضها جمعته من خلال عقد جلسات مع الرواة ومحاورتهم، والبعض الآخر جمعته بالاستعانة ببعض الزملاء والطلاب، وقد قُدّر عدد النماذج التي جمعت ب : ثمانية وعشرين حكاية ، منها ثمانية عشر حكاية جمعت حول لالة تركية.

وقد اعترضتني بعض الصعوبات في جمع هذه المادة القصصية منها : صعوبة أو- ربما- استحالة الإلمام بالمادة القصصية لجميع الأولياء المنتشرين عبر كامل تراب هذا الوطن الشاسع، ولهذا استعنت -كما سبق ذكره- ببعض الزملاء والطلاب في جمع بعض النماذج لبعض الأولياء.

أما فيما يخص النماذج المتعلقة بلالة تركية، فقد ذلل لي هذه الصعوبات أفراد عائلتها الذين فتحوا لي بيوتهم باستمرار وساعدوني كثيرا في عملية الجمع.

كما أشير هنا إلى أن عادات وتقاليد المنطقة حالت دون تمكني من الالتقاء بالراويات من نساء المنطقة، خاصة اللواتي تسمَين باسم تركية تيمّنا وتبركا بلالة تركية، واللواتي عاصرنها ويروين عنها قصصا وأحداثا واقعية عايشنها وحدثت لهن.

ولا يسعني ختاما لهذه التوطئة إلا أن أقدم شكري العميق وتقديري لأستاذي الكريم تيجاني الزاوي الذي ساعدني بنصائحه وتوجيهاته طوال إشرافه على هذا البحث، مما ذلل أمامي الكثير من الصعوبات والعقبات.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد المساعدة في انجاز هذا البحث وأخص بالذكر أولئك الذين ساعدوني في جمع المادة القصصية، فلهم مني أصدق عبارات التقدير والاعتراف بالجميل.

مدخل

نبذة تاريخية عن إنتشار

حكايات الأولياء والصالحين في الجزائر

المدخل :

لقد ازدهر هذا النمط من حكايات الأولياء والصالحين في بيئة فكرية لعبت فيها الطرق الصوفية دورا أساسيا في تهيئة المناخ المناسب لظهور عقيدة الولاية وانتشارها، "وقد بدأت تظهر هذه الطرق الصوفية في الجزائر منذ نهاية القرن الحادي عشر ميلادي"[1]، ويرجّح عبد الحميد بورايو "أن يكون معظم هذه القصص قد نشأت في مجالس الجماعات الصوفية التي ظهرت حول أقطاب التصوف المشهورين وأتباعهم كجزء من الطقوس التي تؤديها الجماعة في حضرة الولي، وتوجد نصوص منظومة لهذه القصص تنشد على شكل مدائح وتمثل المدائح جزءا من أداء مثل هذه الحضرات ، وقد انتقلت من أفراد هذه الجماعات إلى الأوساط الشعبية الأخرى عن طريق دعاة الطرق الدينية و الرواة المحترفين الذين قد يكون لهم انتماءات لمثل هذه الطرق"[2] .

ومن المعلوم أن هذه الطرق الصوفية عرفت انتشارا واسعا خلال العهد العثماني الذي ساد فيه الركود والجمود والاعتقاد في الأولياء والأضرحة، وتدعمت هذه الوضعية بقصد أو عن غير قصد بالسياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية بتشجيعها على إقامة الزوايا ونشر الطرق والحث على إقامة الولائم والوعدات، فضلا عما كانت تقدمه من تسهيلات لشيوخ الطرق الذين كانوا يعينونها على الجماهير التي تقع تحت سيطرتهم .

ولقد منح الانتشار الواسع للطرقية والزوايا نفوذا هائلا على مجرى الحياة العامة حتى أن بعض السياسيين والحكام انخرطوا في حركتها وتملّقوا لها تفاديا للتصادم معها والاستفادة سياسيا من تأثيرها على الرأي العام، وأدرك الأتراك أهمية ودور شيوخ الطرق فتحالفوا معهم فكثرت بذلك الأضرحة والقباب وانتشرت الزوايا، والتي كانت تعقد فيها حلقات سرد قصص الأولياء وكراماتهم وهذا ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي وأصبح الحكام يُظهرون الاحترام لأهل التصوف ببناء الزوايا والوقف عليها وإعفائها من الضرائب "فقد أوقف الباي حسن سنة 1173هـ وقفا على زاوية مولاي الطيب الوزاني"[3]

1- عبد الحميد بورابو – الأدب الشعبي الجزائري – دار القصبة للنشر ، الجزائر 2007- ص 127 .
2- المرجع نفسه ص 127 .
3- أبو القاسم سعد الله –تاريخ الجزائر الثقافي .ج1. 1500-1830-دار البصائر .الجزائر -2007 ص 265

يضاف إلى ذلك "كثرة الهدايا والعطايا التي كانت تقدم للمرابطين إرضاءً لهم وتقربا منهم ونتيجة لهذا فقد انحرف المرابطون في الفساد والتحلل بفعل تحالفهم مع الحكام الذين كانوا يسعون إلى التحكم في رقاب الناس عن طريق هؤلاء المرابطين"[1] .

وفي هذا المجال يقول احمد أمين : "فقد الدين روحه وصار شعائر ظاهرية لا تمس القلب ولا تحي الروح، سادت الخرافات وانتشرت الأوهام وأصبح التصوف ألعابا بهلوانية والدين مظاهر شكلية، ووسيلة النجاح في الحياة ليست الجد في العمل ولكن التمسح بالقبور والتوسل بالأولياء فهم الذين يُنجِحون في العمل وهم الذين يُنصِرون في الحروب والشوارع والحارات مملوءة بالدجالين والمشعوذين"[2] "ويضيف في موضع آخر "فما بال العالم الإسلامي يشرك مع الله كثيرا من خلقه؟ فهؤلاء الأولياء يحج إليهم وتقدم لهم النذور ويُعتقد أنهم قادرون على النفع والضر وهذه الأضرحة لا عداد لها، تقام في جميع أقطاره، يشد الناس إليها الرحال ويتمسحون بها ويتذللون لها ويطلبون منها جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم ......"[3] .

ولقد بلغ التصوف في شكله أوجّه في هذا العهد حتى أصبح كل درويش وليا وصاحب كرامات ومكاشفات، وكل مستغل للعامة باسم الدين ومتقرب من السلطة باسم الطريقة يعتبر قطبا تأتيه الجبايات ويقصده الناس بالقرابين والحكام بالعطايا والهدايا، وقد عمّت الخرافة الجميع في عصر ساد فيه التخلف، مكّن أشخاصا يدّعون دعوات ضالة من خداع وتضليل الناس ونهب أموالهم، ومع ذلك فقد سُمح لهم بالنشاط لأن الحكام لم يكن يعنيهم التقدم الفكري بقدر ما كان يعنيهم بناء المساجد وإيقاف الأوقاف عليها وتأدية الشعائر والتقرب من الأولياء والصالحين لضمان الاستقرار لحكمهم واستمرار سيطرتهم على الشعب، "وقد تولّد عن هذا انتشار الفوضى الدينية وكثرة الخرافات وحلول السحر محل العلم"[4]، واستغلال وإغراق عقول العامة في ظلام دامس حتى "أن بعض مثقفي العصر وأصحاب التفكير والرأي كتبوا لعدد كبير من الأولياء واظهروا كراماتهم ومكاشفاتهم، ومنهم ابن صعد "النجم

1- ناصر الدين سعيدوني – الجزائر في التاريخ العهد العثماني – المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر -1982-ص36
2- احمد أمين –زعماء الإصلاح في العصر الحديث –دار الكتاب العربي –بيروت –د ت– ص 06
3- م ن .ص 06
4- أبو القاسم سعد الله –مرجع سابق –ص 482

الثاقب" وتبعه ابن مريم في "البستان " والبطيوي" في مطلب الفوز" والصباغ في " بستان الأزهار " وابن سليمان في "كعبة الطائفين "[1]

ولاشك ان هؤلاء المرابطين كانوا يساهمون بصفة مباشرة أو غير مباشرة في تخذير السكان عن طريق ما كانوا يقيمونه من احتفالات وما كانوا يقدمونه من أفكار تدعو إلى عدم التدبر في الأمور واستقبال كل شيء على انه قضاء وقدر، وأن لا ينظروا إلى الحكام إلا بعين الرضا ولشيوخهم إلا بالتبجيل والاحترام وفق القاعدة الطرقية القائلة "اعتقد ولا تنتقد"، كما شكلت الوعدة كمؤسسة ثقافية بارتباطها بالزوايا والصالحين وسيلة لدعم ونشر الاستقرار واستتباب الأمن للنظام العثماني عن طريق الحث على مساعدة وعدم عداوة من يقوم بالدفاع عن الأراضي الإسلامية وطاعة ولاة الأمر، وقد عملت السلطة العثمانية بالمقابل على خطب ود القائمين عليها وتأييدهم بالعطايا السخية التي كانت تجلبها من الغنائم الجهادية البحرية إضافة إلى إعفائهم من الضرائب مما جعل التحالف يتوطد بين شيوخ الزوايا والسلطة، وأدى هذا إلى انتشار الطرق وزيادة الاحتفالات سواء تعلق الأمر بولي صالح حي أو ميت، حيث أصبحت تقام هذه الاحتفالات على أضرحة الأولياء بمباركة من النظام القائم .

وقد برزت هذه الوعدات مع ظهور الطرق والأولياء الصالحين الذين زخرت بهم البلاد مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، لا سيما مع الوجود العثماني في الجزائر الذي عمل –كما سبق ذكره– على تشجيع هذه الممارسات وأغدق الأموال على الشيوخ والأولياء وعلى مختلف الاحتفالات التي كانوا يقيمونها، حتى يتمكن من تطويع الأتباع وحتى يستغل نفوذ هذه الطرق في توطيد أركان الخلافة العثمانية بالجزائر .

ولاشك أن التخلف الاقتصادي والثقافي يلعب دورا كبيرا في انتشار وترسيخ العادات والتقاليد الشعبية، حتى تأخذ في كثير من الأحيان طابع القداسة وتختلط بالدين ويعتقد الكثير أنها جزء لا يتجزأ منه، كزيارة الأضرحة وقصد الزاوية لحل ما استعصى من المشاكل أو الاحتكام إلى الولي اعتقادا بأنه يعلم الغيب وأنه قادر على رد المظالم إلى أهلها .

1- المرجع السابق .ص476

وازداد تعلق الناس بالأولياء وكراماتهم فازدادت سلطتهم الروحية واتسع نفوذهم وكثر عددهم، وقد كانت سيطرة الطرق على الجماهير الشعبية كبيرة، "فحياة الشعب كانت قاسية وكانت الطاعة كلية من المريد إلى الشيخ وأصبحت الحياة الروحية مقيدة بتقديس الشيخ وأضحت أضرحة الشيوخ المتوفين موضع عبادة "[1] .

ولقد صاحب هذا الانتشار العقلية البسيطة لأبناء الطبقات الشعبية التي تلاءمت مع الخرافات التي يبثها المرابطون والتي يصدقها العامة كالاعتقاد بالأولياء الذين يعتبرونهم واسطة بينهم وبين الله وبأنهم يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب، وقد أدى هذا الإقبال عليهم إلى رفع مكانتهم وتوسع نفوذهم مما جعلهم يدّعون الولاية ويُظهرون مظاهر الزهد والعبادة، وتحولت الولاية لديهم إلى وراثة، يرث الابن أباه، ومن هنا كانت الفكرة القائلة "بأن البركة الالاهية تفيض على الولي ثم تنتقل إلى ذريته فيصبح جميعهم شيوخا يلتمس منهم الناس البركة، كما تتسابق القبائل ليكون منها وليها يعزز شوكتها ويدعم مركزها ويصبغ عليها بركته مما ساهم في انتشار الأولياء"[2]، والإنسان البسيط يجد حاجته للاقتراب من الله عن طريق الوسطاء كما يعتقد، وذلك لكونه يجهل –ربما– كل شيء عن الدين الحقيقي فيطلب من الولي أن يلبي حاجته، لأنه يتمتع بالبركة ويستطيع علاج الأمراض والتنبؤ بالمستقبل أو منح الخصوبة للمرأة العاقر، والكثير من الناس يعتقدون أن شيخ الطريقة أو الولي أو صاحب الضريح أو القبة يستطيع أن يكون شافعا عند الله للعبد المذنب أو واسطة لتبليغ دعاء الطالب الذي يعتقد اعتقادا راسخا أن دعاء الشيخ مستجاب، وأنه يستطيع أن يضر وينفع ، "ويقول العوام نحن إنما نعتقد في الصالحين الأخيار لأن الله جعل لهم النفع والضر في هذه الدار وفي تلك الدار فهم يعطون أو يمنعون، بأيديهم مفاتيح الغيب وتحت قبضتهم خزائن فضله، ينزلون الأمطار متى شاءوا، يُعافون من أحبوا ويبتلون من

1- بن احمد احمد – الوعدة في الغرب الجزائري –أصورها وتطورها –دراسة اجتماعية وثقافية –رسالة دكتوراه – قسم الثقافة الشعبية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان -2006-2007.ص99نقلا عن:
Cheikh.bouamrane et louis gardet « panorama de la pensee islamique « paris 1984-p143
2- عبد الحميد بورايو-القصص الشعبي في منطقة بسكرة –دراسة ميدانية – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1986 ص108

أبغضوا، يهبون لمن أرادوا ذكورا وإناثا أو يزوجونهم ذكورا وإناثا ويجعلون من غضبوا عليه عقيما"[1] .

وقد رُسِّخت هذه المعتقدات في أوساط الجماهير الشعبية وتناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل لزيادة نفوذ الأولياء والترهيب من مخالفتهم، وذلك بإحياء موالدهم وسرد كراماتهم وخوارقهم للأجيال وهذا ما جعل الكثير يعتقدون في قداسة الولي لكونه ولي الله وولي الله يجب أن يطاع .

وبناءا على ما تقدم ذكره نقول "إن الشواهد الواقعية تدل على أن الطرق الصوفية تلعب دورا بارزا فيما يتعلق بتدعيم المعتقدات والممارسات المتصلة بالأولياء، وكيف أن هذه الطرق تتعهد الأولياء بالرعاية وتشارك في إقامة موالدهم وتردد حكاياتهم وكراماتهم وتسهم في صنع الأولياء الأحياء مما يضمن استمرار عملية إفراز الأولياء"[2] .

إن تضاعف الأولياء وازدهار الطرقية يُلبِّيان أحيانا حاجة بسيكولوجية للأفراد، هذه الحاجة حدثت بفعل الفراغ الاجتماعي الذي يشعرون به، فوجود التجمعات يؤدي إلى دور لا يستهان به في التوازنات الذهنية للأفراد .

هؤلاء الأفراد الذين لم يعرفوا الأولياء إلا من خلال تلك الصور الأسطورية والخرافية التي تم تناقلها بصفة شفوية، وأهملوا تاريخهم الحقيقي الواقعي، حيث أصبحت الأسطورة تكبت التاريخ .

وهذا ما نلمسه في شخصية هذه الولية[3] التي تزخر بتاريخ حافل بالانجازات والبطولات لاسيما أثناء ثورة التحرير، التي لعبت فيها دورا كبيرا في حماية ومساعدة مجاهدي "الولاية الرابعة"[4] حتى لقبها المستعمر "جوندارك فرنسا"[5]، ولكن هذا التاريخ

1- مصطفى الخشاب –علم الاجتماع ومدارسه ، المدخل إلى علم الاجتماع مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة– 1998- ص 88

2- الخولي حسن – الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث – دار المعارف - القاهرة -1982.ص211

3- لالة تركية هي ابنة منطقة تيارت "1903 -1993" ويتواجد ضريحها بمقر زاويتها ببلدية الرشايقة شرق تيارت بمسافة 70 كم وهي بلدية رعوية وفلاحية

4- الولاية الرابعة هي التيطري وما جاورها وتشمل المدية، تيارت، الجلفة، الأغواط... .

5- نص هذه الحكاية انظر الملحق ص 108

الواقعي لهذه الولية كبته أو غيّبه الخيال الشعبي للمجتمع التيهرتي، الذي أهمل الجانب التاريخي لهذه المرأة وركز على الجانب الأسطوري لها والمتمثل في كراماتها "تنبؤاتها، قدرتها على الاستشفاء، سلطتها وانتقامها على كل من يتعرض لها بأذى ...". ، ولهذا احتلت هذه الولية منزلة كبيرة داخل مجتمعها وحتى خارج مجتمعها ومنطقتها، ولازال أبناء المنطقة إلى اليوم يحييون سنويا وعدتها تعبيرا منهم على تعلقهم بهذه الولية وإحياءً لتراثها الذي يعتبر جزء من تراث المنطقة .

وما نلاحظه اليوم مع بزوغ فجر الألفية الثالثة هو استمرار هذه الممارسات، أي الوعدات التي كان يُعتقد أن تيار الحداثة سيقضي عليها إلى الأبد حيث عمّت الأرياف الجزائرية والحواضر، بل أدت وسائل الإعلام دورا كبيرا في الدعاية والترويج لها .

فما هي هذه الوعدات ؟

الفصل الأول

الوعدات الموسمية في الجزائر

المبحث الأول : الوعدات في غرب وجنوب الجزائر

المبحث الثاني : الوعدة : دوافعها ووظائفها

مفهوم الوعدة :

الوعدة لغويا من الوعد في لسان العرب لابن منظور[1] فهي مشتقة من الفعل وعد أي تعهد بشيء ما ،أخذ على عاتقه شيئا ما ،أما بالمعنى الاصطلاحي فهي بمعنى النذر أي ينذر الرجل نفسه صوم يوم أو ذبح شاة ، إذا تحقق له شيء ما أو أن يأخذ المؤمن على عاتقه أمام خالقه تنفيذ وعده إذا تحققت إحدى أمنياته، فقد يتعهد مثلا بإطعام عدد من المحتاجين إذا وضعت زوجته الحامل صبيا طال انتظاره ، فإذا تم له ما أراد يكون لزاما عليه احترام تعهده تحت عاقبة الكفارة أي النكث بالعهد [2] .

ويعتبرها E.DERMENGHEM كطقس يقام على شرف الولي الصالح ، لأجل إبعاد الشر وتحقيق الأماني والشفاء والنجاح [3] ، أما ANDDEZIAN SOSSIE فيعتبر الوعدة عادة طقسية احتفالية تقام حول قبور الأولياء تقدم فيها الأضاحي لتحقيق الأماني المرجوة [4] .

هذان التعريفان يجتمعان في اعتبار الوعدة كظاهرة طقسية واحتفالية تتخذ من الضريح وقبور الأولياء مكان للإقامة ، والأضاحي "الدم " كقربان حيواني في مقابل القبول وتحقيق الأمنيات، هذا المعنى نفسه يتطرق له نور الدين طوالبي في كتابه "الدين و الطقوس و التغيرات"، وقد اعتبر من جهته أن اصطلاح ظاهرة الوعدة يتداخل إلى حد كبير مع مصطلح الزردة ، بل قد يأخذ المعنى نفسه في مناطق عديدة ، وقد يختلفان في مناطق معينة بأن تكون الزردة كاحتفال طقوسي يتطلب مشاركة جماعية للأفراد و العشائر المقيمة له حول ولي من الأولياء ، في مقابل أن تكون الوعدة فعل احتفالي فردي أو العكس فتصبح هذه الأخيرة أعم من ظاهرة الزردة أو تساويها .

1- ابن منظور –لسان العرب المحيط – ج6- دار الجيل - دار لسان العرب – بيروت – 1988 - ص 950-951 .
2- نور الدين طوالبي - الدين و الطقوس و التغيرات – منشورات عويدات – بيروت -1988 - ص 123.
3 - DERMENGHEM Emile - le culte des saints l'islam Maghrébin – édition Gallimard, 7eme édition , paris1954 - p 152-153.
4 - ANDEZIAN SOSSIE – Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine Adeptes dans saints la région de Tlemcen p122.

كما يتداخل أيضا مصطلح الوعدة مع مصطلح النشرة ، وهذه الطقوس الثلاثة المتمثلة في الوعدة و الزردة و النشرة هي الطقوس الأكثر ذيوعا في الجزائر[1]، و بعدما تمكنا من معرفة مصطلح الوعدة وأشرنا إلى التداخل بينه و بين مفهومي الزردة و النشرة، فيجب هنا إلى أن نشير إلى معنى هذين المفهومين .

مفهوم الزردة :

عبارة بربرية تستعمل في شرق البلاد وجنوبها للدلالة على نوعية الفعل في التعبير الذي يلي حدثا سعيدا، ولادة، نجاح مهني، شفاء، عودة من الحج..الخ، ويتم أحيانا استبدال عبارة زردة بعبارة الوعدة للدلالة على نفس الشيء ، والزردة في العرف العام طعام يتخذ من بهيمة الأنعام عند مزارات من يعتقد صلاحهم ، ولها وقتان ، أحدهما في فصل الخريف عند الاستعداد للحرث والآخر في فصل الربيع عند رجاء الغلة ، والغرض منها التقرب من ذلك الصالح لكي يغيثهم بالأمطار تسهيلا للحرث أو حفاظا للغلة[2].

وغالبا ما تضاف الزردة إلى صاحب المزار، فيقول الناس زردة سيدي فلان، كما أنها تتم دائما عند قبره ونادرا ما يقبلون مكانا آخر، وتأخذ الزردة بالنسبة للقبيلة قيمة دينية لأن الناس يتصورونها على أنها إكراما للولي ، كما أنها تؤكد إقامة حج طقسي مرة أو مرتين كل عام للولي، وخلاله تقوم العائلات بزيارة الضريح و التبرك به .

مفهوم النشرة :

النشرة في كلام العرب من النشر بمعنى التفريق، وهي تعويذ ورقية يعالج بها المريض والمجنون ، تقول نشرت المريض إذا قرأت عليه كلمات أو كتبتها له ليعلقها تميمة أو ليمحوها ويشربها ويدهن بها ، ونشرت عنه نشرا ونشرت تنشيرا إذا رقيته بالنشرة كأنك تفرق عنه العلة[3] .

1- نور الدين طوالبي – مرجع سابق- ص 122 .
2- مبارك بن محمد الميلي – رسالة الشرك ومظاهره- دار الراية للنشر والتوزيع – الجزائر - ط: 01 - 2011- ص 238 .
3- المرجع نفسه – ص 377.

ويشتق أصل الكلمة في العربية كذلك من الفعل نشر أي أشاع ، أذاع ، وهي تكثر ممارستها في قسنطينة، تنحصر وظيفتها في كونها طبية سحرية ، فهي معدة لشفاء الأمراض المتنوعة إضافة إلى العقم ، العجز الجنسي ، الامتلاك[1]، وقد تكون مشروعة في نظر الدين إذا كانت بدعوات مشروعة، وتكون حين ذلك عن طريق الرقية، وغير مشروعة إذا استخدمت فيها وسائل أخرى كالسحر لمحاربة العين الشريرة ، أو استخدام التمائم وتعليقها في الأعناق .

و النشرة في نظر العامة طعام يتخذ على ذبيحة من الدجاج غالبا تقربا إلى الجن كي يرفعوا داءهم عن المصاب، فمن أصابه مس من الجن ينقل إلى قبة من القباب، وتقوم النسوة بذبح ديك أسود و يبيت المريض بجانب القبر ليشفى من المرض.

وقد تتداخل هذه الاصطلاحات مع مفاهيم واصطلاحات أخرى متداولة بمناطق متعددة في القطر الجزائري ، ومنها مصطلح "المعروف" و "الركب" و "الطعم" وغيره وعادة ما يضاف للتعريف بذلك اسم الولي أو المنطقة ، فيقال "وعدة أو زردة أو طعم سيدي فلان أو المنطقة الفلانية ".

المبحث الأول :

الوعدات في غرب وجنوب الجزائر :

لقد انتشرت أسماء الأولياء والأضرحة في أماكن عديدة من الوطن إذ لا تكاد تخلو مدينة أو قرية أو دشرة من ولي على الأقل ، إذ تتقاطع الخريطتان الجغرافية والعقائدية حيث نجد أن كل مدينة كبيرة ارتبط اسمها بولي صالح يقدسه سكانها ويزورونه بمناسبات مختلفة كسيدي بومدين بتلمسان و سيدي الشيخ بالبيض وسيدي الهواري بوهران ، وسيدي خالد ولالة تركية بتيارت ، وسيدي أمحمد بن عودة بغليزان وسيدي عبد الرحمان بالعاصمة وسيدي راشد بقسنطينة ، وسيدي محمد بوزيان بالقنادسة ، و سأكتفي هنا باستعراض بعض

1- نور الدين طوالبي – مرجع سابق- ص 128.

وعدات الناحية الغربية و الجنوبية في الجزائر والتي تشتهر بوعداتها الموسمية أكثر من المناطق الأخرى .

أـ الوعدة في الغرب الجزائري :

تمهيد

يحتوي الغرب الجزائري على كم هائل من الوعدات الموسمية ،حيث لا تكاد تزور مدينة أو قرية إلا وتجد أهلها يقيمون احتفالا أو وعدة لوليهم ، ومن أشهر هذه الوعدات أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : وعدة سيدي أمحمد بن عودة بغليزان، وسيدي يحي بمنطقة تلمسان، ولالة تركية بمنطقة تيارت وغيرها من الوعدات التي يزخر بها الغرب الجزائري .

1ـ وعدة "سيدي أمحمد بن عودة" :

تتميز المنطقة الغربية عن بقية مناطق الوطن بكثرة انتشار الأولياء الصالحين، وبتوفر العديد من القباب التي تقام بها الاحتفالات، وفي هذا المجال يمكن ذكر وعدة سيدي أمحمد بن عودة بغليزان الذي ينحدر أصله من فاطمة الزهراء رضي الله عنها ومن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقد ولد سنة 972هـ وتوفي سنة 1034هـ ، كان من كبار الأولياء الصالحين بالمنطقة، وقد لقب بهدي زمانه[1]، ومع بداية كل خريف يحي سكان البلدية التي تحمل اسمه وعدته طيلة أربعة أيام كاملة ، ويسبق هذا الموعد تجمع مشايخ العروش البالغ عددهم خمسة وعشرين شيخا ، ويجوب رجال يحملون ركيزة، القرى والمداشر لتبليغ المواطنين بموعد الاحتفال، وعند مرورهم بالمنازل تقدم لهم التبرعات العينية منها والنقدية في حين تقوم النساء المسنات بإهداء محارم مرشوشة كدعامة لإحدى الخيام التي ستبنى يوم الوعدة، وبالموازاة يتوزع بقية الرجال على الأسواق لإبلاغ الناس بموعد الوعدة أسبوعا قبل بدايتها حيث يتم ذلك جهرا عن طريق البراح ، وفي هذه التظاهرة يطعم الزوار و

1- محمد بوغرارة ، وعدة سيدي محمد بن عودة ـ"موعد سنوي للفرحة و الكرم و االتراث" الخبر اليومي ، العدد 2972 المؤرخ في 2001/09/21 .

عابرو السبيل في جو من الفرح والكرم تتخلله ألعاب الفروسية وحلقات المداحين والفرق الفولكلورية .

2– وعدة "سيدي يحي" بمنطقة تلمسان :

لقد بدأ الاحتفال بموسم سيدي يحي الولي الصالح في شكل موعد يلتقي فيه أبناء سيدي أحمد بن صفية المولود سنة 1529م، وقد نشأ في بيئة دينية ودرس في زاوية جده لأمه الشيخ سليمان بن أبي سماحة اللغة والعلوم الإسلامية والتصوف، ثم واصل دراسته ليتخرج على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمان السهلي ، وبعد وفاته تحول هذا اللقاء تدريجيا إلى موسم تكريم يطلق عليه "وعدة سيدي يحي"، تتم عقب كل موسم فلاحي يحضرها أتباعه الوافدين إليها من جهات مختلفة ويحضرها إضافة إلى أبناء "أولاد نهار" ممثلو قبائل عديدة مجاورة، من الجزائر والمغرب الأقصى .

3– وعدة "لالة تركية" بمنطقة تيارت :

هي وعدة الولية الصالحة "لالة تركية"[1] أو كما يطلق عليها أهل المنطقة "طعم المرابطة تركية" ، بحيث تقام في الثامن عشر جوان من كل سنة ذكرى سنوية بهذه المناسبة في زاويتها التي يتولى الإشراف عليها حفيدها، ويقام ما يشبه الملتقى طيلة يومين إحياءً لذكرى وفاتها، حيث يقام في هذا الملتقى أنواع من النشاطات التربوية كإحياء حفل ختم القرآن للطلبة وتكريمهم ، وإلقاء المحاضرات من طرف بعض الأساتذة وعلماء الدين و المشايخ من داخل الوطن وحتى من خارجه، من ليبيا وسوريا والمغرب[2]، كما تتجلى في هذه المناسبة مظاهر التكافل الاجتماعي كعملية الختان الجماعية لأبناء الفقراء ، وإصلاح ذات البين بحيث تفك الخصومات ، كما تقام مأدبات على شرف الضيوف والزائرين في جو مفعم بالحيوية تتخلله ألعاب الفروسية، وفي النهاية يفترق الجميع وكلهم أمل في لقاء آخر يجمعهم.

1- لالة تركية : سأتطرق إليها بالتفصيل في الفصل الثالث.
2- نقلا عن أهلها وعن من حضر وعدتها.

ب– الوعدة في الجنوب الجزائري :

في المنطقة الجنوبية من الوطن تنتصب الكثير من الوعدات لعل من أشهرها وعدة سيدي أحمد المجذوب بعسلة والأبيض سيدي الشيخ ومولاي عبد الله الرقاني وموسم تيميمون وتمنطيط، وغيرها من التظاهرات الثقافية التي يزخر بها الجنوب الجزائري الكبير والتي أصبح يحتفل بها كل سنة دون كلل أو ملل .

1– وعدة "سيدي أحمد المجذوب " :

تعتبر وعدة سيدي أحمد المجذوب "1493م-1571" أو وعدة المجاذبة بعسلة "ولاية النعامة" كما يسميها عامة الناس في هذه المنطقة، ملتقى موسمي شعبي ينعقد في فصل الخريف من كل سنة، وتقوم الوعدة دائما في شهر أكتوبر المعروف عند البدو الرحل ب"توبر"، وتلتقي فيه كل القبائل المنتمية لهذا العرش وإلى الولي الصالح سيدي أحمد المجذوب رحمه الله ، و تساهم كل العائلات المجذوبية في إحضار طعام الوليمة الكبرى للضيوف ليلا ونهارا طيلة هذه المدة الممتدة ليومين كاملين الخميس والجمعة ، وقد تمتد لأكثر من هذا بسبب الإقبال الكبير على هذه الوعدة ، وبالإضافة إلى هذا العرش، يشارك في هذا الاحتفال باقي سكان عسلة جميعهم بكل ما يملكون، ويفتحون بيوتهم للزوار كما تساهم حتى المناطق المجاورة في هذه التظاهرة لتخفيف الضغط على بلدية عسلة، بسبب العدد الهائل من الزوار الوافدين بالآلاف للمشاركة في هذا الموسم، وبعد أن كانت تقتصر سوى على عرش سيدي أحمد المجذوب وسكان عسلة لوحدهم ، هاهي تتوسع تدريجيا لتشمل كل المنطقة بأكملها، بدءا ببوسمغون و الشلالة الظهرانية والقبلية بولاية البيض إلى البلديات المجاورة الأخرى القريبة والبعيدة، وأصبحت وعدة المجاذبة أو عسلة تظاهرة اقتصادية اجتماعية ثقافية بحيث يلتقي فيها كل الناس من مختلف أنحاء الوطن والهدف من كل هذا ، لا كما يعتقد البعض الشعوذة والدجل، بل من أجل التعارف بين الزوار من مختلف جهات الوطن، كما تشهد هذه التظاهرة جلسات صلح بين الناس وخاصة المتخاصمين من هذا العرش الكبير جدا "عرش المجاذبة" ، إضافة إلى تبادل الزيارات بين العائلات ولم شمل مختلف قبائل هذا العرش الكبير والتبرك بأولياء الله الصالحين بالمنطقة

"سيدي أحمد المجذوب بعسلة وسيدي أحمد التيجاني ببوسمغون وسيدي الشيخ بالأبيض سيدي الشيخ وسيدي سليمان بوسماحة بالشلالة "، و يتم في هذه التظاهرة عقد القران و الاتفاقيات التجارية و التعرف على عادات و سكان هذه المنطقة المضيافة الواسعة من بلادنا، كما تتخللها ألعاب الفروسية، والختام يكون يوم الجمعة مباشرة بعد صلاة العصر وهو ما يسمى محليا ب "المعروف"، أين يتجمع الزوار في ساحة كبيرة "الطحطاحة" و يرفعوا أيديهم إلى الله القدير تضرعا ليصلح البلاد و العباد والدعاء للجميع بالخير و خاصة من يتولى أمور هذه الأمة المحمدية على أمل أن يجمعهم الله و يلتقوا في الموسم القادم .

واليوم لقد أصبحت هذه الوعدة واسعة الانتشار ومعروفة عند الجميع في ربوع الجزائر الواسعة ، وتعتبر من أكبر التظاهرات الشعبية على المستوى الوطني بحيث يشارك فيها الآلاف إن لم نقل مئات الآلاف من الزوار من كل الأعمار والأجناس ويمتد صداها إلى خارج الحدود الجزائرية كالمغرب الأقصى ومالي والنيجر .

وتمثل هذه الوعدة التي تعد أيضا تظاهرة تجارية و ثقافية وملتقى للحرفيين وشعراء الملحون ، عادة راسخة توارثتها قبائل المنطقة منذ سنة 1875م تاريخ تأسيس زاوية الولي الصالح سيدي أحمد المجذوب من طرف أحفاده كونه رجل دين وورع مشهور بالمنطقة .

ولا تزال هذه الزاوية وإلى يومنا هذا منبر علم وزهد وتصوف يقصدها الطلبة لتعلم أصول الدين و حفظ القرآن الكريم ومتون الحديث الشريف.

ويلاحظ الحاضر في هذه التظاهرة الدينية التي تدوم يومين كاملين ويقصدها القريب والبعيد، أنبل صفات الجود والكرم التي يشتهر بها سكان المنطقة ويتجسد ذلك في نصب عشرات الخيام لإطعام الوافدين ، فضلا عن تنظيم حلقات للذكر والمديح الديني والتبرك والتضرع لله عز وجل بالدعاء بالغيث النافع [1].

1- انترنيت : abdeldjebar 2 . blog sport.com

2– وعدة "سيدي الشيخ" :

تعيش بلدية الأبيض سيدي الشيخ سنويا فعاليات وعدة الولي الصالح "سيدي الشيخ" أو "الركب" وتعد هذه الوليمة من أكبر التظاهرات لارتباطها بعرش أولاد سيدي الشيخ زعماء الثورة الشعبية ، عاش هذا الولي في الفترة "1533م-1616" داعية إلى الله ومجاهدا في سبيله ضد الغزو الإسباني، وقد توفي بسبب جرح بجانبه الأيسر إثر العودة من المشاركة في صد هجوم على شواطئ وهران[1]، ولهذا الولي الصالح أتباع كثيرون بالصحراء والغرب الجزائري، وترجع تسمية "الركب" إلى الموكب الجنائزي الكبير والمهيب الذي انطلق من الكراكدة إلى الأبيض حيث دفن الشيخ و أصبح سنويا تحي ذكرى وفاته، وأول انطلاقة تمثلت في مسيرة تقوم بها قبيلة "إستين" مشيا وعلى ظهور الحيوانات إجلالا لموكبه الجنائزي، وعند وصولهم إلى مدينة الأبيض سيدي الشيخ يستقبلون من طرف سكان المنطقة بكل حفاوة، يستضافون ويضربون خيامهم في منطقة مخصصة لهم .

وتتكفل الزوايا والجمعيات الخيرية بكل مصاريف الولائم معتمدة في جانبها الأكبر على مساعدة عروش المنطقة في إتباع مريدي الشيخ، وأمام الضريح وفي مساحة واسعة تجري ألعاب الفروسية، كما تقام الأنشطة الشعبية الفولكلورية "حلقات المداح ، الغايطة القصبة ، الرقص الشعبي وغيرها"، كما تقام في المساحات المجاورة نشاطات تجارية لتجار يفدون من مختلف مناطق الوطن ، وبالمقام يستريحون ويطعمون ويجتمع أهل الذكر لتلاوة القرآن وقراءة المنظومة الصوفية "الياقوتة" للولي الصالح سيدي الشيخ ، كما يتم الدعاء والتضرع إلى الله وطلب الغيث ونزول الرحمة والإصلاح بين العروش إن وجدت خلافات ، وتوزيع الصدقات على المحتاجين وغيرها من العادات التي رسخت في المنطقة منذ القرن 17م بداية إقامة هذه الوعدة .

1- بن أحمد أحمد –الوعدة في الغرب الجزائري – أصولها وتطورها – دراسة اجتماعية وثقافية - رسالة دكتوراه بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية – قسم الثقافة الشعبية – جامعة أبوبكر بلقايد – تلمسان – 2006 - 2007 ص 78.

3– وعدة مولاي "عبد القادر الرقاني" :

بحلول الفاتح من شهر ماي من كل سنة، تتحرك مدينة رقان الواقعة على بعد 150 كلم جنوب عاصمة الولاية أدرار لتعلن عن موعد زيارة ضريح مولاي عبد الله الرقاني حيث يقصد المدينة سكان المناطق المجاورة نساءً ورجالا على مختلف أعمارهم ، وحسب الروايات الشائعة فإن الولي الصالح عاش حوالي خمسين سنة، وقد كان متأثرا بأفكار محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي عاش في القرن التاسع الهجري .

وقد وقع اتصال بينه وبين الشيخ حيث خاطبه دون أن يراه وأمره بالبحث عن المنطقة التي يتخذها مقرا له[1].

وقد استقر الرقاني بهذه الزاوية التي تعرف باسمه، ويبدأ تحضير الوعدة بشهور عديدة، إذ يقوم أحفاده بجمع الأموال والطعام ويكلف كل رب أسرة بطهيه وبعد تناول العشاء تقام ليلة رقان الكبرى التي تنشطها مختلف الفرق الفلكلورية بجانب الضريح .

ويستمر الحفل إلى غاية الفجر، حيث ينتهي بالتضرع إلى الله طالبين منه تأمين العودة كل سنة لحضور هذه المناسبة السنة المقبلة، علما بأن الاحتفالات تدوم أسبوعا كاملا.

إن اقتصارنا على هذه الوعدات لا يعني أنها الوحيدات على مستوى الغرب و الجنوب الجزائري إذ أن هاتين الناحيتان تزخران بالعديد منها كما سبق ذكره، وقد استعرضنا البعض منها لنبين تشابهها من حيث الخصائص والتنظيم والعادات والتقاليد التي تتميز بها والمدة الزمنية التي تستغرقها احتفالاتها و أنشطتها .

1- محمد طواهرية "موسم الحج إلى رقان" الخبر اليومي –العدد 2853 المؤرخ في 2000/05/06.

المبحث الثاني :

الوعدة : دوافعها ووظائفها

أ- دوافع الاشتراك في الوعدة

تمهيد :

تختلف دوافع الاشتراك في الوعدة باختلاف ميول ورغبات الوافدين، فقد يعزو البعض انخراطهم في احتفالاتها إلى التخفيف من الأزمات التي يعيشونها، وذلك بفضل ما يعتقده الوافد في القدرات الخارقة للولي الصالح أو لصلاحه الذي يؤهل الاستجابة إلى الدعاء بجاهه ، وقد يتعدى هذا الدافع إلى دوافع اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية وغالبا ما يتأثر الأفراد بإحدى هذه الدوافع التي تجعلهم ينتظرون وقت حدوثها ليحضروا احتفالاتها ويندمجون في طقوسها، وقد تتقاطع هذه الرغبات مع ما توفره الوعدة من حاجيات أو تتضمنه من وظائف داخل فئات المجتمع المحلي ليجد الإنسان ضالته في هذه التظاهرة التي أصبحت تؤمن ديمومة واستمرار العادات والتقاليد الشعبية على الرغم من أن هناك عوامل عديدة للتغير تعمل على التقليل من فعاليتها و تأثيرها على المجتمع.

1- دوافع نفسية :

لقد حلت عبادة الأولياء محل عبادة الأجداد والأسلاف ، وذلك لأن الله يبقى بعيدا في نظر الإنسان البسيط الذي يجد حاجة ملحة للتقرب للأولياء، لذا يلجأ إلى الوسيط الذي يمكنه من بلوغ هذا الهدف[1]، وقد ظل هناك إحساس بين البشر بالفجوة الهائلة التي تفصل بينهم وبين إلههم ، ونشأت تبعا لذلك حاجة ملحة لملء هذه الفجوة وهي حاجة نفسية، استغلها رجال الدين لإدامة سلطانهم ولمنع العامة من الانصراف عن الدين، وهو تقليد قديم كان يتبعه الكهان في الأزمنة الغابرة إذا كانوا يوهمون العامة بأنهم الوحيدون الممتلكون لأسرار الآلهة القادرة على الاستجابة لهم وهم الوسطاء بينها وبين الناس، ومن هنا نرى بأن هذه الحاجة النفسية أدت إلى ضرورة إيجاد الشفيع أو الوسيط، إذ لا تكتفي الطبقات الشعبية

1 - Pierre Bourdieu – sociologie de l'Algérie – 3éme édition – puff – 1970 - p 102.

بالتعاليم المجردة بل تحتاج إلى وسيط يتحسس مآسيها ويساعدها على حل مشاكلها وينصرها ضد ظالميها و يتكلم لغتها، لهذا فهي تتحول عن دعاء الرب إلى دعاء نبيه إلى سليل بعيد من أهل البيت إلى ولي صالح[1] تطلب شفاعته ومساعدته وتلجأ إليه وقت الضائقة.

فبحث الإنسان عن الطمأنينة النفسية الروحية الدينية والسكينة هي مشاعر قد أرقت وجدانه في الوجود، وقد وجد الإنسان الشعبي في ضريح وليه هذه السكينة التي يبحث عنها والمكان المقدس الذي يمكن أن تسمع فيه مشاكله ومشاغله وأماله[2]، وفي دراسة قام بها نور الدين طوالبي في قريتي "كرزاز" في جنوب الجزائر و"بني حمدون" حول دوافع السكان في التماس وسيط من خلال القيام باحتفالات الطقس، فوجد أن أغلبية السكان قد أكدوا إخلاصهم إلى الأولياء وفي نظرهم فإن الولي "الممثل الشرعي لله وبدونه ما كان للإسلام أن ينتشر على الأرض ولما كان عزيزا جدا على قلوب المؤمنين"[3]، ويضيف في مقام آخر "يتجلى البعد السيكولوجي للطقس هذا للأوساط الشعبية حيث أن هذا النمط من الطقوس يهدئ حالات القلق ويحقق نوعا من التوازن الداخلي "[4].

ويظهر هذا السياق السيكولوجي في الارتياح النفسي و الشعور بإتمام الواجب عند القيام بهذه الاحتفالات قرب ضريح الولي الصالح، وتشكل هذه الطقوس حلا لمشاكله الحياتية وتنظيما لقلقه حيث تخففه لاعتقاده في القدرات الخارقة لصاحب الضريح ولشعوره الداخلي بأن عدم الإقبال على طقس الوعدة من شأنه أن يعيق طلباته ويؤثر على نيته اتجاه الولي، وهو يصيغ هذا الشعور بالعبارات التالية "تهز كياني فكرة الامتناع عن أداء واجب الوعدة ، أكون في حالة من التوتر العصبي الشديد ، ولا أشعر بالتحسن إلا مع انتهاء الاحتفال الشعائري أي بعبارة أخرى ، عند إشباع حاجته للمقدس البدائي "[5] .

1- أحمد أمين –ضحى الإسلام – ج4- مكتبة النهضة المصرية – القاهرة - ط:03 - 1962 - ص 99 .
2- بووشمة الهادي –الوعدة : التمثل و الممارسة – دراسة أنثروبولوجية بمنطقة أولاد نهار – وعدة سيدي يحي ابن صفية – نموذجا - رسالة ماجستير –قسم علم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة السانيا – وهران - 2005-2006 - ص 59.
3- نور الدين طوالبي – مرجع سابق – ص 138 .
4- نور الدين طوالبي – في إشكالية المقدس – منشورات عويدات – بيروت – 1988 – ص 42 .
5- المرجع نفسه – ص 21 .

تولد المشاكل اليومية نوعا من الإحباط في نفوس الكثيرين من الناس، ويزداد القلق و التوتر عند استحالة إيجاد الحلول لها مما يؤدي إلى الشعور بالعجز إزاءها، لا سيما إذا وجدت هناك عراقيل تمنع من تجاوزها، لذلك تلجأ الطبقات الشعبية إلى الأولياء وتغتنم الفرص أثناء قيام الاحتفالات لتحقيق طلباتها والتخفيف من ألامها ومن المظالم "أثناء اشتداد الكوارث الطبيعية ، الأزمة الأمنية ، مظالم الحكام، "وحينما تعجز عن تجاوز هذه الأوضاع الصعبة حينئذ تعتقد أن الأمل الوحيد لحلها يبقى مرتبطا بسلطة غير بشرية عند الولي الصالح الذي تخضع له كلية ، ومن هنا تكون دوافع اللجوء إلى الأولياء هي حل المشاكل والبحث عن الراحة النفسية ولا يكون ذلك إلا من خلال إحياء الطقس عند استحضار الماضي[1] ، وبالتالي فإن إقامة الوعدات هي عملية توحي بالاطمئنان لدى هذه الأوساط فالظلم والحرمان والفقر ليست إلا أسباب تدفع بالناس إلى البحث عن أمل سحري يخلصهم من معاناتهم اليومية ويؤمن لهم الهدوء و الطمأنينة التي تعتبر أقوى حاجات الإنسان، ولهذا تلجأ الطبقات الشعبية إلى أضرحة الأولياء وزواياهم لإقامة الاحتفالات الطقسية والتي تختتم غالبا بالدعاء وهو نوع من الترويح عن النفس والبحث عن الحلول المناسبة والأمل في الفرج القريب، وفي هذا المجال يقول حليم بركات في دراسة أجراها حول مسألة الاعتقاد بالأولياء في المجتمع العربي :" فليس من العجب أن تلجأ الطبقات المحرومة إلى الأولياء بحثا عن الحلول لمشاكلها اليومية الاقتصادية و النفسية ".[2]

2- دوافع اجتماعية و ثقافية :

لقد دأب الناس على إقامة الاحتفالات احتفاءً بشيخ الطريقة عند زاويته كل سنة وبتكرار هذه العملية أصبحت عادة اعتادها الناس، وقد يحتفل بالشيخ بعد مماته قرب ضريحه وتقام الولائم وتقدم الذبائح، وبهذا المعنى يصبح الاحتفال نوعا من الممارسات الاجتماعية والإجراءات المقررة التي تتصف بالمظهر الرسمي، وتلتقي فيها الشعائر

1- غالي شكري – الاسلام و السياسة – دار موفم للنشر – الجزائر – د ت - ص 88 .
2- محي الدين مختار –محاضرات في علم النفس الاجتماعي– ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر– د ت- ص 119.

والطقوس والمراسيم والرموز والأساطير التي تبلورت حول معان وقيم وأحداث لا يمكن للأفراد أن يعزلوا أفكارهم ومشاعرهم عن التغني بها وتذاكرها في مناسبتها الدورية .

ولا شك أن التخلف الاقتصادي و الثقافي يلعب دورا كبيرا في انتشار وترسيخ العادات والتقاليد الشعبية، حتى تأخذ في كثير من الأحيان طابع القداسة وتختلط بالدين ويعتقد الكثير أنها جزء لا يتجزأ منه كزيارة الأضرحة وقصد الزاوية لحل ما استعصى من المشاكل أو الاحتكام إلى الولي اعتقادا بأنه يعلم الغيب وأنه قادر على رد المظالم إلى أهلها.

ولا زالت هذه المعتقدات الشعبية تتضمن الموروثات الثقافية التي ترتبط بعدد من العقائد والممارسات الباقية في المجتمع عبر مراحل تطوره المختلفة، ورغم أن هذه الموروثات قد فقدت وظيفتها الأساسية في المجتمع، فهي تملك القوة اللازمة للبقاء والاستمرار بفضل ما تحتله من مكانة في السياق الثقافي للمجتمع الذي تنتمي إليه، كالوعدة التي تأخذ قيمة دينية في منطقة ما لأن الناس يقومون بها إكراما للولي، وهي تستقطب آلاف الزوار الذين يحنون إلى معايشة هذه الظاهرة نتيجة للترسبات الثقافية الماضية، وتعد الاحتفالات بمثابة تظاهرة ثقافية يعيشها الوافدون سنويا حيث أنها تحوي الكثير من الفنون الشعبية التي تستهوي العديد من الأفراد كالرقصات الشعبية وألعاب الفروسية والغناء وغيرها من العادات الشعبية .

ولا تقتصر الوعدة على هذا الجانب بل تتعداه إلى جانب هام وهو جانب التكافل الاجتماعي بين الناس، حيث يتم فيها الإحسان إلى الفقراء والمساكين وتبرز روح التآخي والتضامن بين الأغنياء والفقراء، حيث تعتمد الجماعة إلى توزيع الزكاة لتشمل المحتاجين ومساعدة المساجد والزوايا بتخصيص مبالغ لفائدة الطلبة "معلمي القرآن" وعقد قران الأزواج وغيرها من وجوه الصدقات، كما يتم إصلاح ذات البين بين المتخاصمين في مختلف المجالات "كالجرائم، النزاعات العقارية وغيرها"، ولو أن هذه الوظيفة أصبحت حاليا من اختصاص الدولة فإن دور الجماعة لا يستهان به في مجال التخفيف من شدة التوتر، فقد تحدث عبارة "جاه سيدي فلان" لدى المتخاصمين مفعولا سحريا يسكن روح المتنازعين باستجابتهم لجاه الولي الصالح، وتشكل الاحتفالات إطارًا أمثلاً لتدعيم العلاقات

الاجتماعية بين الأفراد والأسرة، وتعتبر مكان تجمع القريب والبعيد حيث يفد عليها كل من هجرها بمجرد أن يعلم أنها تقام في وقتها المحدد، وتمثل بهذا المعنى جوا ثقافيا واجتماعيا يمكن من إعادة تشكيل القبيلة في المخيلة الشعبية، ويشجع الفرد على إعادة ربط أواصر القرابة مع مختلف أفراد العشائر التي ينتمي إليها .

كل هذه العوامل المذكورة تمثل دوافع رئيسية تدفع الفرد للاشتراك في مختلف احتفالات الوعدة كما تجعل العديد يساهمون فيها بأموالهم وجهودهم، ولا سيما إذا تعلق الأمر بالفرد الذي يحس أنه حفيد الولي الصالح الذي تقام على شرفه الاحتفالات .

3- دوافع اقتصادية :

يعتبر تأثير الظروف المناخية على الزراعة في الجزائر دافعا قويا على إقامة الوعدة هذه الظروف المتمثلة في عدم انتظام سقوط الأمطار ولا سيما في فصل الشتاء، إذ كثيرا ما يطول سقوطها مما يؤدي إلى كارثة طبيعية وهو الجفاف الذي له آثاره الوخيمة على الإنتاج الفلاحي، وبحكم أن المجتمع الجزائري يعد مجتمعا زراعيا ولا سيما في فترة الاحتلال إذ كان يعيش أفراده على الزراعة وتربية الماشية ويرتبط الإنتاج بما تجود به السماء من أمطار، لذلك نرى الفلاحين يتمنون سقوطها بانتظام، وإذا حدث وتأخرت فإنهم يعزون ذلك إلى نقمة أصابتهم، وهذا ما يبرر إقامة الوعدة لطلب الغيث والاستسقاء الذي تحتاجه الأرض لإخراج نباتها وزيادة غلتها، ومن هذه الناحية فإن الاحتفال يعد في نظرهم وسيلة لاستدرار الأمطار ويزيد اعتقادهم رسوخا حينما يلجأون إلى شيخ الزاوية أو مقدمي الطريقة طالبين منهم الدعاء لهم بنزول الأمطار لأنهم ذوي بركة، ولا يستجاب لهم إلا إذا قاموا بالاحتفال وقدموا الذبائح "القرابين" وقرءوا الفاتحة وتوسلوا إلى الله بجاه الولي الصالح، وإذا كان الوضع في السابق يفسر على أساس انعدام الوعي الديني لدى العامة بفعل عامل الأمية والتعلق بعبادة الأولياء مما يجعل الكثير من الناس لا يعطون أهمية للصلاة الشرعية للاستسقاء، فإن ممثلي الدين الرسمي يعتمدون على إقامتها ولا سيما حينما تجذب الأرض ويستمر القحط، وعلى الرغم من ذلك فإن العامة تفسر عدم الاستجابة لدعاء

الاستسقاء بعدم احترام معايير الاحتفالات الشعبية ولاسيما طقس الوعدة مما يدفعها إلى إقامة هذه الوعدات التي تعتبرها وسيلة فعالة للحصول على المطر .

وإلى جانب هذا العامل فإن الاحتفالات تتميز بإقامة عدة نشاطات اقتصادية تستقطب اهتمام الوافدين وتشكل بذلك سوقا مفتوحة لمختلف المنتجات الريفية، إضافة إلى المنتجات المصنعة التي يعرضها التجار وقد أستغل هذا النشاط قديما وحديثا حيث كان الفلاحون يعرضون منتجاتهم الفلاحية والماشية التي تقدم كذبائح ومختلف السلع التقليدية، وكانت تستغل كسوق سنوية لتصريف مختلف المنتجات والتبادل بين أفراد القبيلة الوافدة .

أما حديثا فإنها تستغل كمكان لبيع مختلف المنتجات، وبهذا أصبح الدافع الاقتصادي ذا قيمة كبيرة سواء في نظرة المنظمين أو الوافدين على الوعدة التي أصبحت تتيح اقتناء مختلف السلع من قبل سكان المنطقة أو الضيوف الوافدين عليها .

وتبقى الحاجات والدوافع الاجتماعية والنفسية والاقتصادية متداخلة في مضامينها تحتاج لكشف أكثر ما دام الارتباط اليوم بمعالم وطقوسيات الإسلام الشعبي أصبح من رموز الهوية القرابية والنسبية والشخصية المتميزة لهؤلاء، لذلك في مقابل هذا التشبث لا يمكن القول أن الحركات الإصلاحية ولا غيرها يمكنها القضاء على هذه الترسّبات التي احتواها المخيال الشعبي .

4-دوافع سياسية:

لقد لجأت السلطة ولا تزال تلجأ من أجل المحافظة على مصالحها المختلفة ولتدعيم موقفها واستقرار المجتمع إلى استخدام الدين لبلوغ هذه الأهداف، وذلك عن طريق صرف نظر الشعب عن المشاكل الحقيقية التي يعاني منها، بجعله يلجأ إلى الأولياء والصالحين هروبا من مواجهة الواقع الذي يعيشه .

يقول حليم بركات "إن السلطة الرسمية بدورها تمكنت في بعض الظروف أن تستعمل الدين الشعبي لمصلحتها بإخضاع الشعب وإلهائه باللجوء إلى الأولياء وتفويض أمره لهم بدلا من مواجهة الواقع والاعتماد على طاقتهم الخاصة"[1] .

يظهر موقف السلطة من هذه الممارسات حيث تلجأ مختلف مؤسساتها إلى المساهمة بشكل مباشر أو غير مباشر في تكريس هذه الطقوس عن طريق دعمها والإشراف عليها وتنظيمها في كثير من الحالات، حيث يعهد إلى لجان للتنظيم غالبا ما يرأسها ويديرها أحد أفراد السلطة كرؤساء الدوائر والبلديات، ويتمثل دورها إلى جانب عملية التنظيم في توفير الوسائل المادية من خيام ونقل وتوفير للمياه وغيرها، مما يجعلها تتحكم في كل مجريات الأمور، وعلى الرغم من ذلك فإنها لا تبذل أي جهد في تحويل هذه الطقوس من مهرجانات للخرافات والشعوذة إلى مهرجانات اجتماعية واقتصادية أكثر تقدمية، بل أن المؤسسات الحكومية تقف في كثير من الأحيان موقف العجز أمام ضريح ولي من الأولياء كما يقف الإنسان العادي البسيط [2]، وتسعى السلطة من وراء ذلك إلى جعل الطبقات الشعبية تفوض أمرها للأولياء بهدف إبعادها عن التفكير في تغيير أوضاع المجتمع، وبذلك تتحول إلى كائنات عاجزة سلبية لا تؤمن إلا بقدرة الأولياء تنتظر مصيرها المحتوم بصبر وأناة تجسيدا للمثل والشعار الطرقي القائل: "نَاكْلُو الْقُوت ونسْتنّاو الموت".

إن ولع الناس باللامعقول والخرافي والخارق، مثل ولعهم بفلكلورهم وتقاليدهم يجعل منهم أكثر ارتباطية بهؤلاء الأولياء وهو ما يجعلهم يبحثون في ثنايا الماضي والحاضر عن ذلك، وبالمقابل فليس للدولة خيار في ظل تأزمها الاقتصادي و الاجتماعي أن تجد حلا أحسن من هذا.

صحيح أن هذه الاحتفاليات هي ربط لخيط الذاكرة بتاريخها وإرثها الشعبي الغني ولكنها في الوقت نفسه هي ملاذ للهروب من الواقع المتأزم الذي كان بدوره حصيلة لمجموعة أسباب، بحث من خلالها المخيال الشعبي عن سبل الطمأنينة والفرج، ولو بهروبه

1- بركات حليم- المجتمع العربي المعاصر- بحث استطلاعي جماعي.مركز دراسات الوحدة العربية- ط:07-2001- ص 259 .

2– إبراهيم بدران-سلوى الخماش-دراسات في العقلية العربية الخرافية- دار الحقيقة- بيروت- ط:03- 1988 – ص218 .

إلى اللامعقول والخرافي الذي وجد في القصص والحكايات والأساطير ما يغذيه ويدعمه وتبقى مناجاة الولي وطلب شفاعته ووساطته معلما مميزا لحياة العديد من الطبقات خصوصا المحرومة بسبب ظلم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية .

وإذا كان الأمر يقتصر في فترة الاحتلال على دعوة الحاكم العسكري والقياد ورؤساء القبائل والعشائر والدواوير والأئمة، فلأن الاستعمار الفرنسي لم يكن يسمح بإقامة وعدة لا يشرف عليها واستخدامها لأغراضه عن طريق الرخص التي كان يقدمها لإقامة الوعدات وقد استبدلت هذه الفئات في الوقت الحاضر بالسلطات المحلية المنتخبين "المجالس الولائية والبلدية والوطنية " حيث لا يخلوا أي احتفال من حضورهم .

وبهذا يتأكد الدافع السياسي إلى إقامة هذه الوعدات، التي تسعى السلطة من خلالها إلى إلهاء الشعب وجعله يتعلق بتقديس الأولياء وإبعاده عن المشاكل الحقيقية وإعادة إحياء الفكر القبلي الضيق الذي لا يهتم إلا بمشاكله دون ربطها بالمشاكل التي يعاني منها جل الشعب وهذا من شأنه أن يصرفه عن التفكير في تغيير الظروف الكفيلة بتحسين أوضاعه بما يتناسب مع طموحاته و أماله

ب- وظائف الوعدة في المجتمع :

إن العادات و التقاليد التي يزخر بها المجتمع والتي تعبر عنها الطقوس المختلفة التي تحافظ عليها الفئات العريضة من المجتمع في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتي تؤدي وظائف معينة في المجتمع، استمرت ودامت على مر الزمن على الرغم من تغير الظروف وحدوث تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية، ومن هذه العادات التي ترسخت واستقرت في المجتمع الجزائري ظاهرة الوعدة ، إذ تعتبر طقس من الطقوس التي ارتبطت بالتراث الشعبي وبالزوايا كمظهر من مظاهرها، حيث ورث المجتمع الجزائري هذا الطقس من القدماء الذين سكنوا البلاد[1] ، وقد برزت من جديد عند

1- ر.بودون وف.بور يكو- المعجم النقدي لعلم الإجتماع – ترجمة الدكتور سليم حداد ، ط01 .ديوان المطبوعات الجامعية 1986 ص 321 .

ظهور عبادة أو قداسة الأولياء وشيوخ الطرق وقد تطابقت بساطتها مع بساطة أفكار الجماهير الشعبية واعتنقتها وأصبحت المدافعة عنها .

إن الوعدة اليوم أضحت ظاهرة شعبية مميزة للكثير من المناطق الوطنية ومسرحا اجتماعي ثقافي وديني ، ورمزا من رموز البقاء والاستمرار والولاء والوفاء لتقاليد وتراث الأجداد، مع كل محاولات الاحتفاظ به وترسيخه في الذاكرة الشعبية كتعبير دوري متكرر ومعلما لهوية مميزة للجماعات والقبائل ومجمعا بشريا وروحيا تلتقي فيه لحظات الماضي والحاضر والمستقبل، يتذكر فيه هؤلاء انتمائهم وأصالتهم وتواصلهم، واستمرارية الظاهرة أو وجودها أصلا لم يكن اعتباطيا ودون معنى، لو لم تجد فيها هذه الجماعات الكثير من الحلول والحسنات، وإلا كيف نفسر دوام هذه الظاهرة واستمراريتها كل هذه المدة الزمنية ؟ ويمكن استشفاف ذلك من خلال دراسة وظائف الوعدة وهذا يقودنا إلى إلقاء الضوء على أسباب بقائها على الرغم من عوامل التغير الكثيرة التي مست المجتمع الجزائري في مختلف مجالاته .

1- وظيفة اقتصادية :

يحتل الجانب الاقتصادي دوراً أساسيا في احتفالات الوعدة، حيث أنه بالتوازي مع إقامة الاحتفالات تقام عدة نشاطات اقتصادية تستقطب اهتمام الوافدين عليها وتشكل سوقا مفتوحة لمختلف المنتجات الريفية إضافة إلى المنتجات المصنعة التي يعرضها تجار محترفون يقوم باقتنائها الوافدون من أفراد القبائل الأخرى، كما يعرض الفلاحون منتجاتهم الفلاحية للبيع وسط خيام موزعة حسب طبيعة النشاط أو تعرض في أماكن مخصصة لذلك وغالبا ما تخص هذه المعروضات الأغنام والماعز التي تشكل حيوانات مفضلة للذبح في هذه المناسبة .

وبهذا تتحول الوعدة إلى شبه سوق سنوية لسكان المنطقة، الشيء الذي يجعل المنطقة تعيش حركة اقتصادية نشيطة واستثنائية وقد كان هذا حالها أثناء الاحتلال الفرنسي، لأن المجتمع الجزائري كان يعتمد أساسا على القطاع الزراعي الذي يرتبط إنتاجه على ما تجود به السماء من أمطار، لذلك يتمنى الفلاحون سقوطها بانتظام ، وإذا حدث وتأخرت فإنهم

يعزون ذلك إلى نقمة أصابتهم، وهذا ما يشكل سببا من أسباب إقامة هذه الوعدات في بعض المناطق لا سيما في الشمال للاستسقاء الذي تحتاجه الأرض لإخراج نباتها وزيادة غلتها .

وقد ساعدت هذه السوق السنوية في رفع مداخيل الفلاحين عن طريق تشكيلها كمنفذ لمنتجات الصناعة التقليدية التي كانت تمتهنها الكثير من الجماهير كمنتجات الحلفاء المتمثلة في الحصير والأطباق والأكياس والسلال والقفف وغيرها، وهي منتجات يؤدي بيعها إلى زيادة مداخيل الفلاحين ويمكنهم من مواجهة النفقات المتزايدة التي كان يتطلبها الوضع أثناء الاحتلال، ويضاف إلى هذه الحرف حرفة الخشب التي تستخرج منها الملاعق والمهاريز وغيرها من المنتجات التقليدية التي كانت مزدهرة أثناء الاحتلال الفرنسي .

وقد تطورت هذه المنتجات بتطور البنية التحتية للمجتمع وحلول الآلة مكان اليد العاملة، حيث غزت المنتجات المصنعة الأسواق، غير أنها لم تقض على المنتجات القديمة كليا بل لازالت هناك سلع تقليدية تعرض ولكن بكميات قليلة وبأسعار مرتفعة وهناك حرف يستمد وجودها من تربية الماشية كصناعة الصوف والجلود"المزاود، البورابح"[1]، وهي منتجات بسيطة تؤدي وظائف أساسية في المجتمع الريفي وترتكز عليها حياة السكان ويستغلونها في حياتهم اليومية، ويضاف إلى هذا توافد التجار المحترفين الذين يعرضون منتجاتهم من الألبسة الكتانية والأدوات الحديدية البسيطة و غيرها .

وتجدر الإشارة إلى أن طبيعة هذا النشاط قد تغيرت بتغير المواد المعروضة وحلول التجار المحترفين محل الفلاحين، والذين تنوعت منتجاتهم بحيث أصبحت تشمل أنواعا متعددة وتشكل شبه سوق أسبوعية من حيث التنظيم والمواد المعروضة وتكتمل النشاطات السابقة ببيع الحلويات والمشروبات التي غالبا ما تكون محط رحال الغرباء الوافدين على الوعدة من مناطق أخرى، ولقد أصبحت الحلوة من ضمن أهم الرموز التبركية بالولي، التي يعود بها الزائر إلى أهله و أقاربه وجيرانه .

1- المزود : ج : مزاود : وعاء من الجلد يوضع فيه الدقيق .
البورابح : غطاء مصنوع من الصوف يستخدم في الفراش .

ولعل أكثر النشاطات التصاقا بالوعدة والملازمة لها والتي بدونها تصبح غير ذات أهمية، لعبة الفروسية التي تتطلب توفير معدات خاصة بالفرسان والحصان والتي تقع على عاتق حرف الحدادة وإصلاح السروج والأسلحة التي تستعمل في لعبة البارود المرافقة للعبة وللرقصات الشعبية التي قلما تخلوا وعدة منها، ولازال هذا التراث الشعبي قائما إلى اليوم بإقامة مهرجانات ألعاب الفروسية التي أصبحت تقام بانتظام وكذلك بإعادة إحياء كثير من الوعدات التي تشكل الفروسية فيها اللعبة الرئيسية "القوم أو الفيشطة"[1] .

الوعدة اليوم هي سوق كبيرة مثلما ينتظرها البعض للتبرك والزيارة والفرجة والتنفيس، فان العديد من التجار والناقلين بدورهم ينتظرون ذلك ويحضرون له عدته، وهذا بدوره يعكس الحركية الاجتماعية والاقتصادية التي يعرف فيها الاستهلاك أقصى درجاته ولمختلف الصناعات والمنتجات سواء التقليدية أو الحديثة، فالسوق يجتمع فيها التجار والحرفيين في شكل حوار بين الجديد والقديم وبين الماضي والحاضر.

مما سبق يتبين إن الوظيفة الاقتصادية هي وظيفة أساسية بحيث تشكل سوق سنوية للمنتجات الريفية التي تساهم في تطوير الاقتصاد المحلي وما يكمّله من نشاطات مساعدة وتعد عنصرا هاما في تثبيت الجماهير الريفية وتحسين أوضاعها وبذلك تؤدي الوعدة وظيفة اقتصادية هامة للمجتمع الريفي .

2-وظيفة اجتماعية:

تحاول القبائل تجسيد هذه الوظيفة من خلال إبراز الكرم وحسن الضيافة تّجاه الوافدين عليها، وتقديم الأطعمة والصدقات لليتامى والعطف على المساكين وتقديم يد العون للمحتاجين والغرباء وغيرهم[2]، ويظهر بشكل تلقائي ذلك التكافل الاجتماعي الذي يحث عليه الإسلام من قيم السماحة والوحدة والتضامن كإصلاح ذات البين بين المتخاصمين وفك الخلافات في النزاعات العقارية وتوزيع مياه الري والفصل في قضايا الطلاق والحضانة وتوزيع المواريث والزواج، وقد نبعت هده العادات من تراث الشعب "إذ أن المرابطين

1- القوم أو الفيشطة : كلمتان عاميتان تعنيان الفروسية .

2 - أحمد بن أحمد ،الوعدة بين الضوابط الدينية والممارسة الاجتماعية من مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان العدد 02 نوفمبر 2001، ص36 .

الصالحون كانوا يرشدون الناس إلى أمور دينهم فيحسنون إلى الفقراء ويصلحون ذات البين[1] .

وتبرز وظيفة التكافل الاجتماعي وتتجسد من خلال تلك القيم التي توارثت عبر الأزمنة الطويلة والتي قام الناس بها انطلاقا من شعورهم الإنساني بضرورة العمل للتخفيف من ألام الآخرين، عن طريق تقديم يد العون إلى من يستحقها وإشعارهم بأن روح التآخي التي تحث عليها التعاليم الإسلامية من شأنها تدعيم التعاطف والتكافل بين أفراد المجتمع وقد ترسخت هده العادات بفضل أهل الزوايا الذين كانوا يعلّمون الناس شؤون دينهم وينشرون الأخوة الإسلامية بينهم[2] .

و تكاد هذه الوظيفة أن تغطي كل الممارسات في هذه الاحتفالات إن لم نقل كلها و التي تعد في نظر العامة من الحتميات الملازمة لها تلازما وظيفيا لا يكاد ينفصم عنها .

إن الإحسان إلى الفقراء والمساكين من الواجبات الأساسية التي بحث عنها الدين الإسلامي ولذلك فإن المنظمين للوعدات والقائمين عليها يركزون عليها في احتفالات الوعدات، وبهذه الطريقة فإنهم يساهمون في تجسيد وظيفة التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وهذا ما لمسته أثناء حديث جمعني مع أحد أفراد عائلة "لالة تركية" حول وعدتها أو "طعم" لالة تركية كما يسميه أهل المنطقة، إذ أكد لي في حديثه على أسمى مظاهر التكافل الاجتماعي التي تتجسد في هذا "الطعم" كالإحسان إلى الفقراء و المساكين وفك الخصومات وعملية الختان الجماعية لأبناء الفقراء وغيرها من مظاهر التكافل الاجتماعي .

وسيادة هذه القيم في المجتمع البدوي يرجع أساسا إلى قوة التقاليد والعادات التي أصبحت تشكل أحد الروافد الأساسية للإطار الثقافي الذي تتحرك فيه مختلف الأفكار والمعتقدات والقيم التي لا يشوبها التغير والتبدل بسرعة، وإنما تقاوم مختلف الظروف ولا سيما إذا رأت فيه القوى الجديدة تقاليد إيجابية تخدم مصالحها مما يستلزم الدفاع عنها و المحافظة عليها .

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 . 1500 ، 1830 ، دار البصائر. الجزائر. طبعة خاصة . 2007 . ص 488.
2 - المرجع السابق – ص 495 .

3- وظيفة ثقافية :

تمثل الوعدة ظاهرة ثقافية في حد ذاتها، فهي تحوي العديد من العادات والتقاليد والطقوس التي طبعت سلوك الأفراد منذ زمن بعيد وهي تعيد إنتاج هذه العادات بما توفره من إطار للمحافظة والصيانة لما تركته الأجيال السابقة، وتشتمل هذه الظاهرة الثقافية على معارف الإنسان ومعتقداته وأعرافه وسلوكياته، وهي المركب الذي يحدد منطلقاته في الحياة، ويوجه عمله وأساليب حياته وممارسة علاقاته المجتمعية والفردية وأهمية الثقافة كعنصر يحدد الأفكار والسلوكيات، والظواهر الاجتماعية يجعلها محور الرهان ولبّ اهتمام كل الحركات والاتجاهات والقوى السياسية والفكرية والعقائدية منذ بدأ الحياة على هذه الأرض، ولذلك تختلف الشعوب والأمم على هذه الأرض من حيث طبيعة المعيشة وأنماطها وتاريخها وحضارتها، وتنحصر ثقافة شعب معين في أفكاره وتقاليده المشتركة بين أفراده دون سواهم .

إن الوعدة تكتسي أهمية بالغة بما تقدمه من أسباب الحماية للتراث الشعبي وما تمثله من تمايز عن الثقافات الأخرى، وقد استطاعت أن ترفض السياسة الاستعمارية الداعية إلى الاندماج والذوبان، وقاومت الثقافة المبتذلة التي لا تعبر عن كرامة وطموحات الشعب وكانت تدعو إلى استعادة الحق الضائع وحرية إبداء التمييز عن المغتصب، وبذلك حافظت على التراث الشعبي لأن الأعراف والعادات والتقاليد والمعتقدات تتضافر وتتجلى في هذه الظاهرة .

تعود الوعدة كل سنة لتسترجع الجماهير ماضيها القريب والبعيد، وتستنير بدروس الماضي لتجيب عن أسئلة الحاضر، وفي علاقة الحاضر بالماضي ويقوم الحاضر بتصحيح أسئلة الماضي كما يعيد الماضي إعادة قراءة الحاضر ليمنحه القدرة على السير، ويدرك من يفد على الوعدة ذلك التواصل والحوار المستمر بين الماضي والحاضر من خلال التراث الشعبي ومن خلال ما أدخل عليه من تجديد، غير أن ذلك لم ينزع عليها الطابع التقليدي لمختلف الممارسات التي تقام بها وبذلك يمكن الرابط بين الماضي والحاضر ليضل الماضي قائما في قلب الحضارة يمنع كل إمكانية الانسلاخ عن هذه التقاليد العريقة، ويمكن استشفاف

هذه الوظيفة من خلال الألعاب و الفنون الملازمة لها كألعاب الفروسية والألعاب الفلكلورية المختلفة والمداح وقصصه الشعبية وغيرها من الفنون الشعبية التي تزخر بها الوعدة .

4-وظيفة دينية :

ما يميز الوعدة وأدوارها في الجانب الديني حتى وان صنفها الخطاب الفقهي لبعض العلماء بالطقوس البدعية، هو قيام أهلها خلال فترة إقامتها ببعض الأعمال التي تعد من الواجبات الدينية من إطعام عابري السبيل والحضور وتقديم الصدقات أو ما يسمى بالطعم أو المعروف والتكافل وإصلاح الشأن العام ومساعدة المساكين وجمع التبرعات وبناء المساجد و الزوايا وتحقيق سبل الخير وإصلاح شؤون الجماعة وإقامة تجمعات في فترات الليل لقراءة القرآن ولحلقات الذكر .

لقد عملت الوعدة على تحصين الشخصية الوطنية وحمتها من الاستلاب الثقافي الفرنسي عن طريق ما مثله من تمايز عن الثقافة الاستعمارية، و قد احتمى بها الشعب عندما شعر بخطر الهجمة الاستعمارية فدافع بذلك عن دينه وشخصيته وقد استغلت مختلف الاحتفالات لجمع الزكاة ولبناء المساجد والمدارس والزوايا ووفرت الظروف الضرورية لتعليم الأطفال القرآن الكريم والقراءة والكتابة، وفصلت الجماعة في الأحوال الشخصية حسب الشريعة الإسلامية، كما تحل كثير من المشاكل والخصومات نظرا لوجود أصحاب الجاه وكبار رجال القبيلة أو رؤساء الطرق والزوايا الذين لهم نفوذ كبير في تذليل الصعاب وفض الخلافات، وبذلك تساهم الوعدة في حقن الدماء وحل المشاكل العالقة بين القبائل حول النزاعات العقارية وتوزيع مياه السقي ....الخ .

وتتوج هذه الوظيفة بالهدف الأساسي الذي أقيمت من أجله الوعدة وهو الاستسقاء و زيادة البركة و الاحتفال بالولي الصالح و هو ما يستشف من خلال إقامة الفاتحة حيث يقوم

بالدعاء الشيخ أو المقدم أو إمام القبيلة داعيا الله عز وجل أن يجعل السنة أكثر خيرا وبركة طالبا منه نزول الغيث ببركة الولي الصالح[1]، وأن تعاد المناسبة في ظروف طيبة .

إن هذه الوظائف تؤدي في آخر المطاف إلى تهيئة الظروف المناسبة للتماسك الاجتماعي القبلي، وهو شيء مفيد للقبيلة حيث يشعر الفرد بولائه للقبيلة غير أنه كان يعيق نمو الشعور الوطني ويمنع قيام رأي عام موحد في الوطن، وهذا ما استغله الاستعمار الفرنسي لتبديد جهود وطاقات الشعب ومنعه من قيام مقاومة حقيقية ضده وذلك بلجوئه إلى سياسة "فرق تسد" بإضرام الفتنة والتناحر بين القبائل عن طريق شيوخ الطرق، وإذا كانت هذه الوظيفة السلبية الوحيدة التي أدتها الوظيفة الدينية فإنها بالمقابل حافظت على وظائف كثيرة ساهمت في الحفاظ على عادات وتقاليد الشعب وميزت ثقافته عن ثقافة الغزاة وبهذا فقد قدمت للمجتمع أعظم خدمة وأجلّها كان لها عظيم الأثر في الحفاظ على هويته الشخصية.

من خلال ما سبق نلخص القول أن الشعب الجزائري عندما يحتضن هذه الظاهرة قد يجمع في حياته بين القديم و الجديد، بل يعيش في الماضي بقدر ما يعيش في الحاضر وهكذا يؤكد أن التقاليد نشأت في رحم المجتمع ومن طبيعته ومن تفاعل العلاقات بين أفراده منذ القديم، ومن الصعب تغيير هذه الأوضاع بسهولة وذلك لأن النظم والأوضاع الراسخة في طبيعة البيئة قلما تقبل التطور أو التحرير إلا في الحدود التي يسعها العقل الجمعي ، أما العناصر الدخيلة فتكون عادة أكثر استجابة للتحول و أكثر خضوعا للانحلال[2] .

5- وظيفة نفسية وروحية وسياحية :

إن الحاجة للمقدس هي دوما موجودة في الشعور الإنساني، وزيادة الأضرحة عبر هذه المناسبات هو تواصل بين الحضور والقوى وأرواح الصلحاء والأجداد ، فهو لقاء بين الأحياء والأموات قبل كل شيء، والطقوس دوما حسب cazeneuve وعلى اختلافها ذات

1- ابن أحمد أحمد –الوعدة بين الضوابط الدينية و الممارسة الاجتماعية من مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، مرجع سابق، ص37 .

2- عبد الحميد بورايو – القصص الشعبي في منطقة بسكرة – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- 1986- ص 108 .

اتجاه واحد في وظائفها، فلا هدف منها سوى إعادة التوازن الديني الداخلي للإنسان الذي يمزقه اتصاله مع تقلبات العالم الخارجي، وبالتالي فإن الظاهرة الاحتفالية تحمل نوع من الدفاع قبل كل شيء، وهذا الحوار بين الروحي والمقدس يجد فيه نور الدين طوالبي الكثير من المعقولية، إذا ما اعتبرنا أن بعض الطقوس من الوجهة النفسية تبحث عن الهدوء وتوازن الأنا من خلال ارتباطها طقوسيا بالقوى الخفية[1] .

إن الأزمات التي تعرفها هذه المجتمعات على كل المستويات من ظلم وقهر، هي التي دوما كانت دافعا للشعوب للبحث عن الطمأنينة وسبيل لحل مشاكلهم، ولعل المزار ومختلف طقوسه كان مفرجا ومخرجا لذلك، مادام ليس هناك من يسمع هذا الشعب فحتى الاجتهاد الفقهي والفقهاء غاب وجودهم في تثقيف هذا الشعب، وغدا الجمود يصيب كل شيء[2] .

إن ظاهرة الوعدة بمحمولها المتعدد، تحوي نوع من السياحة الروحية والفرجوية التي يحاول من خلالها الزوار كسر الروتين والحد من الاغتراب الاجتماعي المعاش والكبت النفسي، وذلك من خلال زيارة الولي والقدوم لهذه الاحتفالية التي أصبحت متنفسا وحقلا للفرجة وبالتالي البحث عن نوع من الطمأنينة من حالة القلق والهروب من حالة الألم والحرمان إلى الفولكلور والفرحة والضريح من خلال تحقيق هذا الولي لأمالهم ومرجواتهم وإن كانت هذه المرجوات لا تتعدى طلب الولي الوقوف إلى جانب الزائر في مواجهته لصعوبة من الصعوبات مادية كانت أو معنوية، لذلك فكثيرا ما تسمع البكاء و الصراخ عند ضريح الولي تعبيرا عن الحالة النفسية والاجتماعية للزائرين، كما تسمع عبارات تتردد فيما بينهم في قولهم "أنا نطلبك يا سيدي فلان وأنت أطلب الله ، أو قولهم : أنا أتوسل بك يا سيدي فلان إلى الله أن تحقق لي هذا الأمر" .

هذه الكلمات وإن يعتبرها البعض من التخلف الديني الشركي للزائرين والزائرات إلا أنها تعكس من جانب، رمزية هذا العالم كمقدس يمكنه التخفيف عن الإنسان وتحقيقه لبعض أماله، ومن جانب آخر تعكس المكانة السامية التي يحتلها الأولياء في المخيال الشعبي كالاعتراف بسلطتهم وقدراتهم الخارقة في تحقيق النفع له بمثل الضر في انتهاكه

1- طوالبي نور الدين -الدين و الطقوس و التغيرات- مرجع سابق- ص 38-39 .
2- بركات حليم –المجتمع العربي المعاصر- مرجع سابق- ص 261 .

لحرماتهم وهم في منظوره خلفاء الله في أرضه وورثة الأنبياء والمرسلين في كراماتهم وبركاتهم .

ويبقى تأكيدنا في الأخير أن ظاهرة الوعدة قد ساهمت مساهمة فعالة في توطيد أركان الدين الرسمي على الرغم من أن هذا الأخير يعتبرها انحرافا على تعاليمه، فقد ساعدت على جمع أموال الزكاة وصرفها في المجالات التي تخدم الدين كبناء الزوايا لتخريج العلماء والفقهاء وتشييد المساجد وتعليم القرآن واللغة للأطفال وتلاوة القرآن وغيرها من الأمور التي ساهمت في المحافظة على الهوية الوطنية، وبذلك أدت الوعدة دورا أساسيا في حماية وصيانة المقومات الإسلامية .

الفصل الثاني

مراتب الأولياء وكراماتهم

المبحث الأول :

1 – مفهوم الولاية .

2 – مراتب الأولياء حسب نسبهم وثقافتهم .

المبحث الثاني :

1 – الأولياء والكرامات .

2 – الأولياء والجن .

إن موضوع الأولياء بكل ما يحيط به من أفكار وطقوس وممارسات على نحو ما يجري في المجتمع في إطار الإدراك الشعبي لهذا الموضوع، يدخل في إطار التراث الديني الشعبي، وهذا التراث موجود لدى جميع المجتمعات الإنسانية على اختلاف مستوياتها من التقدم، فهو موجود لدى المجتمعات البدائية، ولدى أكثر المجتمعات تقدما وتحضرا، غير أن الأمر يختلف بين مجتمع وآخر من حيث درجة وجود هذا التراث الديني الشعبي وغلبته أو سيطرته فيما يتعلق بتحديد نظرة الإنسان للعالم وإدراكه لحقائق الكون، والتراث الديني الشعبي يختلف عن الدين بمعناه الرسمي على نحو ما جاءت به الكتب السماوية وسنن الأنبياء فهو - التراث الديني الشعبي- يتضمن تنويعات عديدة من الأفكار والتصورات والمعتقدات الشعبية، والطقوس والممارسات التي تعكس نظرة الإنسان للعالم، وترسم إطارا لعلاقاته لبعض الكائنات المقدسة التي تتعدد وتتنوع طبيعتها لتشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد. والأولياء والقديسون من بني الإنسان يحظون بالتكريم والتقديس، ويحتلون مكانة كبرى في المعتقد الشعبي، ويربط معظم الأهالي في الجزائر بين الاعتقاد في قداسة الأولياء وتقديس بعض المظاهر الطبيعية، فينسبون أشجارا معينة أو كهوفا لهؤلاء الأولياء،وهذا ما وجدناه على سبيل المثال في ولاية سيدي بلعباس حيث نسبت هذه المنطقة إلى ولي صالح اسمه سيدي بلعباس البوزيدي، ولا يزال ضريحه رمزا شاهدا عليه[1] وكذلك في مدينة سيدي عيسى بالمسيلة التي نسبت إلى ولي صالح اسمه سيدي عيسى الدنيدني أو الدنداني، كما أن هناك "خلوة" أي غار أو كهف بمدينة سعيدة نسب إلى لالة تركية "خلوة لالة تركية" لأنها مكثت فيها أثناء تجوالها فترة من الزمن، وغيرها من الأماكن التي جعلت لها الأوساط الشعبية هالة من الاحترام والقدسية.

1 تيجاني الزاوي- بناء الحكاية الشعبية في الجزائر- رسالة دكتوراه-قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة السانية، وهران- 2008/2007- ص: 148-149

المبحث الأول:

1- مفهوم الولاية:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب أن الولي هو اسم من أسماء الله تعالى وهو الناصر وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها، ومن أسمائه عز وجل الوالي وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها، قال "ابن الأثير" وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيه لم ينطبق عليها اسم الوالي والولاية بالكسر تعني السلطان وبالفتح تعني النصرة يقال: هُم عليَّ ولاية أي مجتمعون في النصرة، وقال سيبويه: الولاية بالفتح المصدر والولاية بالكسر الاسم، مثل الإمارة والنقابة، والولي، ولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفايته... وولي المرأة، الذي يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح دونه... والولي والمولى واحد في كلام العرب. والمولى الحليف وهو من انضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك. وتولاك الله أي وليك الله، ويكون بمعنى نصرك الله ... قال "ابن الأعرابي": ابن العم مولى وابن الأخت مولى والجار والشريك والحليف مولى، والولي والصديق والنصير، والولي التابع المحب، والموالاة ضد المعاداة والولي ضد العدو.[1]

إذن نستخلص من هذا الشرح اللغوي للولي المعاني الآتية: الناصر والحليف والمتولي والصاحب والقريب.

ب- إصطلاحا:

أما المفهوم الاصطلاحي فيشمل المعاني اللغوية ويتجاوزها إلى دلالات صوفية "فالولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المتجنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، فأولياء الله هم الذين اصطفاهم الله وجعلهم آية إظهار فعله، وخصهم بأنواع الكرامات وطهرهم من الآفات، فلا هَمّ لهم سواه

1 ابن منظور أبو الفضل جمال الدين- لسان العرب- دار صادر- ط 4- بيروت، لبنان 1994- ص: 406-411.

ولا أنس لهم إلا معه وقد كانوا قبلنا في القرون الماضية وهم موجودون الآن وسيقومون من بعد هذا إلى يوم القيامة".[1]

من خلال هذا التعريف نستطيع أن نرسم ملامح الولي الصالح، فهو المشتغل بالله المعتكف على العبادة، المتقرب إلى الله بالنوافل والطاعات، المعرض عن لذات الدنيا وشهواتها، ونتيجة لاجتهاده في العبادة الخالصة لله تعالى وإتّباعه لطريق الحق يكتسب صفة الولاية و ينكشف له الغطاء ويتمكن بفضل الله تعالى من الإطلاع على عوالم أخرى، "وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم و كذلك يدركون كثير من الواقعات قبل وقوعها"[2].

وهناك شروط وعوامل أخرى يمكن من خلالها اكتساب الولاية ومن هذه الشروط :

أ- الانتساب إلى العائلة الشريفة:

إن الانتساب إلى العائلة الشريفة "آل البيت" يعد وسيلة هامة للحصول على الولاية لأن الشريف كان دائما موضوع تبجيل وإكبار وتعظيم على مر التاريخ الإسلامي لأنه الامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله، ولقد درج الناس في بلاد المغرب العربي على اعتبار كل قادم من منطقة الساقية الحمراء "مرابطا" وبالتالي شريفا، لأن المرابطين يعدون أنفسهم أدارسة، وإدريس الأكبر ينتهي نسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله.

ب- الرؤيا:

الرؤيا وسيلة أخرى لاكتساب الولاية، ومعنى ذلك أن يرى طالب الولاية في المنام ما يجعله وليا بتزكية من رسول الله صلى الله عليه وآله أو جبريل عليه السلام، أو سيدنا الخضر أو قطب من أقطاب التصوف لعبد القادر الجيلاني مثلا، وهذه الرؤيا كافية لأن تؤهله وترفعه إلى مصاف الأولياء الشرفاء.

---

1 سيدي عابد عبد القادر- التصورات الاجتماعية لزيارة الضريخ في العلاجات التقليدية- دراسة سوسيو ثقافية لضريح الولي "سيدي بوعبدالله" بوادي رهيو- رسالة ماجستير- قسم علم النفس وعلوم التربية- كلية العلوم الاجتماعية- جامعة وهران- 2009/2008- ص: 30.

2 ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان - المقدمة- دار القلم، بيروت، لبنان 1987- ص: 469-470.

ج- الكرامة:

غالبا ما تعرف الكرامة بمقارنتها بالمعجزة وذلك لإبراز أوجه التشابه أو الاختلاف بينهما، وتتشابه الكرامة بالمعجزة في كونهما يثبتان أمور غير خاضعة لقوانين الطبيعة، وقد يختلفان فقط كون الكرامة تنسب إلى الأولياء والصالحين، أما المعجزة فهي "تنسب إلى الأنبياء والرسل".

والكرامة هي خرق عادة بأفعال وأقوال يعجز عنها غير الولي، وكما عرفها النبهاني بأنها "أمر خارق للعادة، غير مقرون بالتحدي، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح"[1].

د- الجذبة والجنون:

يعد الجنون أو ما يسمى "بالجذبة" علامة كبرى عند عامة الناس وخاصتهم على انتماء صاحبها إلى عالم الولاية، أما سبب اعتقاد الناس بولايته كما يرى إميل ديرمنغهام E.Dermenghem "فيتمثل في خصوصيته، فهو في نظرهم مقسم إلى جسد وروح، فأما روحه فهي معلقة بالسماء تنتظر فناء الجسد الذي لا يزال يدب على الأرض"[2].

2- مراتب الأولياء:

هناك أعداد لا حصر لها من الأولياء في الوطن الجزائري، يتدرجون إلى فئات شتى ومستويات متباينة، وعلى رأس هؤلاء من ينتسبون إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته أوينتسبون إلى صحابي مقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله، ويأتي بعد تلك الفئة أصحاب أو مؤسسو الطرق الصوفية، وفي النهاية قاعدة ضخمة لا حصر لها من الأولياء المحليين الأقل شأنا من هؤلاء، ونصادف عددا منهم في كل قرية من قرى الجزائر، وفي كل ركن من أركان مدنها وسبيل كل واحد من هؤلاء - خاصة الفئة الأخيرة – إلى الشهرة والاحترام والتكريم هو ما يبديه من كرامات، سواء في حياته أو بعد مماته.

ويمكن لنا من خلال هذه التوطئة تصنيف أو ترتيب الأولياء حسب نسبهم وثقافتهم.

---

1 النبهاني يوسف بن اسماعيل- جامع كرامات الأولياء- ج2 المكتبة الثقافية بيروت، لبنان 1991- ص: 28.
2 E.Dermenghem op.cit p:322

أ- مراتب الأولياء حسب النسب:

أ-1: الشرفة أي جمع شريف وهم من تتصل أصولهم بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وخاصة من ذرية الإمام علي وفاطمة رضي الله عنهما، ويزخر المجتمع الجزائري بعدد هائل من الأولياء الذين ينتمون إلى هذه السلسلة الشريفة، منهم سيدي الهواري بوهران، وسيدي لخضر بن خلوف بمستغانم، وسيدي عيسى "الدنداني"[1] بالمسيلة والذي تنتسب له "لالة تركية" أو "المرابطة تركية" كما يسميها أهل منطقتها.

وتتفق الطرق الصوفية في كثير من التقاليد والممارسات، ومن ذلك حفظ السلسلة أو السند فلكل طريقة نسبها أو سندها الذي يرجع بها إلى الرسول صلى الله عليه وآله عن طريق السيدة فاطمة[2] وبعلها الإمام علي كرم الله وجهه، ويقول نور الدين طوالبي أن هؤلاء الأولياء المنحدرين المشهورين من سلالة النبي محمد صلى الله عليه وآله هم بالطبع الأولى بالحق في خلافته.[3]

أ-2: الأولياء الذين ينتسبون إلى صحابي مقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله كالانتساب إلى أبي بكر الصديق أول خليفة في الإسلام مثل الولي عبد الرحمان المجذوب وسيدي الشيخ.

ويذكر أبو القاسم سعد الله أن هناك من أصحاب الطرق الصوفية من يصل نسبه وسلسلته إلى أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما[4].

ب- مراتب الأولياء حسب ثقافتهم:

ب-1: الأولياء المحليون "الشعبيون":

الملاحظ أن هؤلاء الأولياء المحليون توجد لهم قباب منتشرة على كامل التراب الوطني وخاصة في القرى والمدن الصغرى، وليس لديهم سوى أساطير محلية، كما ليس

---

1 عبد الرحمان بوزيدة- قاموس الأساطير الجزائرية- منشورات CRASC – وهران- الجزائر 2005- ص: 28

2 أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- ج4- 1954/1830- دار البصائر، الجزائر 2007- ص: 16.

3) نور الدين طوالبي- الدين والطقوس والتغيرات- مرجع سابق- ص: 95.

4) أبو القاسم سعد الله – المرجع نفسه- ص: 16.

لهم وجودا تاريخيا واضحا، وشهرتهم لا تكاد تتجاوز القرى أو المناطق التي ينتمون إليها يُحكى أنهم يقومون بأشياء خارقة للعادة تعرف باسم "الكرامات" تمييزا لها عن المعجزات الخاصة بالأنبياء والرسل، وأن في حيازتهم قوة غريبة تتمثل في البركة والتي يستعملونها في صالح أتباعهم، ويعرف عن هؤلاء أنهم لم يستوفوا علما واسعا، بل أن تكوينهم كان شعبيا، إذ اكتسبوا صفة الولاية من تأييد الشعب لهم، وحسب بوسكي "Bosquet" يطلق في المغرب على الأولياء الذين ينحدرون من أصول محلية وشعبية باسم "المرابطين" وهي كلمة مشتقة من الرباط، وتعني كلمة المرابط الإنسان الذي وهب حياته لخدمة الله في الأرض....[1] وربما لهذا السبب عُرفت واشتهرت الولية الصالحة لالة تركية باسم "المرابطة تركية" لأنها وهبت حياتها لخدمة الله وعباده، وبخلاف "المرابطين" الذين لا تتعد شهرتهم حدود قريتهم أو مدينتهم، فقد ذاع صيت هذه الولية الصالحة عبر كامل التراب الوطني وحتى خارجه، ولعل أصدق دليل على هذا هو القصيدة الشعبية "يَا لالة يا تركية وأنا سْمعت البْنْد ير"[2] والتي خلدت هذه المرآة الصالحة وزادتها شهرة، إذ تغنى بها الكثير من الفنانين.

وكما أشرت آنفا أن هذا الصنف من الأولياء يطلق عليه اسم "المرابطين" من "مرابط" فأود أن أتعرض هنا لهذا المصطلح والذي تداخل في الأعوام الأخيرة فأصبح يطلق بعمومه حتى على الدراويش والشيوخ ورجال التصوف والشعوذة، "وهذا الاستعمال أقرب إلى الاستعمالات السياسية منه إلى التاريخ، فكلما نقم البعض على أهل الدين أو لاحظوا بعض التخلف في التفكير قيل لفلان هذا إنه "مرابط"، يعني أنه رجل دين متخلف أو خرافي والواقع لفظ مرابط له معنى تاريخي وسياسي بعيد، فهو يعني المجاهد"[3]، لأنه أصلا جاء من كلمة "رباط"، والرباطات قامت أساسا في الثغور وأماكن الخطر التي يهجم منها الأعداء، وهكذا كانت الرباطات قلاعا وحصونا لمنع الخطر الأجنبي، وكان المرابطون هم المجاهدين الذين يحمون الثغور ويتصدون للأعداء، وبعد تولي العثمانيين الدفاع على الثغور انحصر نشاط المرابطين في أعمال البر والتعليم وإصلاح ذات البين وتأمين

---

1 Bosquet, g.h- L'islam Maghrébin- introduction a l'étude générale de l'islam- La maison des livres Alger- 1954- P: 163.

2 أنظر إلى قصة هذه القصيدة في الفصل الثالث ص : 77 والملحق : ص 109

3 أبو القاسم سعد الله- مرجع سابق- ص: 13.

الطرق،وقد بنوا لأنفسهم أو بني لهم الناس زوايا، بدل الرباطات، أو تحولت الرباطات إلى زوايا ومعاهد.

وقد يكون المرابط من رجال الدين، ولكنه ليس بالضرورة من أهل الطرق الصوفية أو له طريقة صوفية، إذ كان خلال فترة طويلة مستقلا عن رجال الدين الرسميين والفقهاء والقضاة وعن رجال طرق الصوفية[1]، وبذلك يؤلف المرابطون فئة مستقلة ذات نفوذ على الناس، وهم دعاة مهرة، وبهذه الصفة حاول الفرنسيون أن يؤثروا فيهم وأن يجلبوهم إلى خدمتهم.

ويرى عبد الحميد بورايو "أن هؤلاء الأولياء المحليون في الغالب ليسوا أصحاب طرق دينية ولم يكن هناك داع لإنشاء قصص تروج لهم بهدف كسب المريدين، وكل ما هنالك أنهم كانوا أشخاصا استرعوا انتباه الناس بسلوكهم غير العادي، ولأنهم كانوا يتمتعون بمواهب خاصة تميزهم عن غيرهم من الناس، قد يكون هذا السلوك صلاحا واستقامة وميلا قويا لفعـل الخيـر ومساعدة الآخرين، وهو أمر يصعب على أي عضو في الجماعة الالتزام به، وقد تكون هذه الموهبة حكمة وقدرة على التفكير ومعالجة الأمور تتجاوز حدود ما تواضع عليه الناس في حدود بيئتهم وثقافتهم، وقد تكون قدرة غير عادية على التعبير الفني وصياغة المشاعر في القوالب الفنية المتاحة، ويروى مثلا عن أحد المرابطين في الصحراء الشرقية، أن سارقا اعترض طريقه يريد أن يفتك منه دابته التي يركبها، فحاول خداعه وتظاهر أنه يريد أن يسأله عن بعض الأمور، فقال: "كَانْ تْسالْني عَلى الْعلمْ ربي هو العالم.... و إذا تْسالني على العباد حَدْ ما رَاه منْ حَدْ سالم.... وإذا تْسَقْسيني عليك ... أنت ظالم؟ ...: وواضح الطابع الحكمي في هذه المقطوعة التعبيرية"[2].

وهناك مجموعة أخرى من الدراويش والحمقى والمرضى عقليا ... الذين تسميهم العامة جميعا "مرابطين"، ولقد دفعني إلى تناول هذا المصطلح –المرابط- أمرين أساسيين هما: حتى يميز القارئ بين "المرابط" الذي يتسم بالصلاح وطاعة الله، والمرابط الذي يتسم بالدجل والشعوذة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى لا يظلم هذه المرأة الصالحة

1 المرجع السابق- ص: 13.

2 عبد الحميد بورايو- الأدب الشعبي الجزائري- دار القصبة للنشر، الجزائر 2007- ص: 169.

"المرابطة تركية" وينسبها إلى فئة المشعوذين والدراويش، إذ يشهد عليها كل من شاهدها وعايشها على زهدها وصلاحها وخدمتها للناس، فهي من المرابطين الذين قال عنهم حمدان خوجة المعاصر لبداية الاحتلال: "إن المرابطين في جميع أنحاء الجزائر محترمون سواء كانوا أمواتا أو أحياءً، وإن مهمتهم هي إطعام الطعام للفقراء والغرباء، وإطفاء الفتن بين الناس، وتأمين الطرق للسابلة"[1].

ب-2: الأولياء المثقفون:

وهم الأولياء الذين كانت لهم دراسة بالعلوم الصوفية، وهم عديدون وأضرحتهم منتشرة عبر كامل التراب الوطني، فحيثما تذهب إلى أي مدينة من مدن الجزائر إلا وتجد وليا من هؤلاء الذين خلد التاريخ سيرهم.

إن هذا الصنف من الأولياء هم في حقيقة الأمر علماء في المجال الديني، مثل أبو مدين شعيب الاشبيلي ومحمد الهواري وعبد الرحمان الثعالبي وغيرهم. إلا أن المعتقدات الشعبية هي التي جعلتهم أولياء، فقد أضحت الأوساط الشعبية تزور أضرحتهم للتبرك بهم إلى درجة تقديسهم وطلب الشفاعة منهم.

إن الأولياء المثقفون في نظر الأوساط الشعبية هم الذين نهلوا من مختلف العلوم واحتقروا الدنيا وبذلك يجب أن يُقلدوا في كل شيء يقولونه أو يفعلونه، إن هؤلاء الأولياء عادة ما توجد أضرحتهم في المدن التقليدية كالجزائر العاصمة ووهران وتلمسان، والتي كانت مدن ثقافية ذات إشعاع فكري، كما تتميز أضرحتهم عموما بكثير من مظاهر الجودة والفخامة خاصة في المدن الكبرى، بخلاف أضرحة الأولياء المحليين التي هي عبارة عن قباب بسيطة أشد البساطة، عادة ما تكون بجانب مقبرة تحيط بها.

وهناك بعض الأشخاص الذين يلقون مظاهر التكريم والتقديس أثناء حياتهم، ولكن من دائرة محدودة نسبيا من الناس، ويعرف هؤلاء باسم "الأولياء الأحياء" وهم عبارة عن أشخاص على جانب كبير من التدين والزهد والانقطاع للعبادة، كما أنهم قد يكونوا من

1 جمال قنان- نصوص سياسية جزائرية في القرن 19- 1914,1830- ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر 1992- ص: 56. نقلا عن خوجة في الشكوى التي رفعها إلى رئيس وزارة فرنسا.

المجاذيب أو أشباه المجانين، الذين يبدون قدرا من الكرامات، خاصة ما يدل على صلاح وكشف.[1]

ويقول ابن خلدون في هذه الفئة من المجاذيب أو أشباه المجانين "ومن هؤلاء المريدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين... ويردف ابن خلدون بأن هؤلاء البهاليل يقع لهم من الإخبار عن المغيبات عجائب لأنهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب"[2]، ويلتمس الناس بركة هؤلاء الأولياء بأن يلمسوهم، أو يدعوهم يقرؤون عليهم بعض السور أو الأدعية أو غير ذلك من صور التماس البركة، ومن البديهي أن هؤلاء يظلون يشغلون نفس المكانة الرفيعة في نفوس الناس بعد موتهم، وربما قد يبالغ الناس في رواية كراماتهم، ويزايدون في مظاهر التقرب إليهم.

إن تكريم الأولياء لا يمكن تصوره بدون ضريح أو مقام، إلا أننا نجد مع ذلك عديدا من الأولياء الذين تبنى لهم مقامات بلا قبور، أو أضرحة خاوية وأولئك هم "الأولياء المؤشرون"[3]، والولي المؤشر يكون شخصا عاديا من أهل القرية، أو واحد من أهل البيت أو الصحابة، أو كبار رجال الدين، ويظهر لأحد الأحياء في المنام، ويطلب منه صراحة أن يبنــي له شاهدا أو مقاما، وقد يلبي الإنسان صاحب الرؤيا الطلب على الفور، وقد يتقاعس فيعاود الولي الظهور له مرة أخرى ومرات إلى أن يستجيب، ولكنه قد لا يستجيب بالرغم من كثرة سؤال الولي له في المنام، فيعطيه هذا الولي علامة، اذهب إلى المكان الفلاني فسوف تجد كذا، في هذا المكان يجب أن تبني له قبرا أو ضريحا. وإذا تقاعس صاحب الرؤيا مع ذلك، فإن الولي يمكن أن يلحق به ضررا "في" زراعته أو في بهائمه، أو في أولاده، أو في صحته...إلخ. بحيث يربط هذا الشخص بين ما أصابه وبين ما طلب منه في الرؤيا، فيستجيب أخيرا لما طلب منه، ويرفع عنه الضرر الذي وقع عليه.

1 محمد الجوهري- علم الفلكلور- ج2- دراسة المعتقدات الشعبية- دار المعارف، القاهرة ط1، 1980- ص: 56.
2 ابن خلدون أبوزيد عبد الرحمان- مرجع سابق- ص: 110- 111.
3 محمد الجوهري- المرجع نفسه- ص: 58.

وقد يحدث في بعض الأحيان أن يلقى أحد الأولياء، بعض مظاهر التكريم والتقديس دون أن يكون من أهل البيت أو من الصحابة أومن كبار رجال الدين أو من المجاذيب، إذ تظهر روح أحد الموتى من الناس العاديين، ويلبس أحد أهل القرية من أقارب هذا المتوفى أو من غير أقاربه، وتلك الظاهرة هي التي أطلق عليها "هانز فينكلر H.Wenkler" اسم أرواح الموتى التي تلبس الأحياء، وألف عنها كتابا[1].

والأرجح حسب محمد الجوهري " أن تلبس روح الميت واحدا من أفراد سلالته، وبعد موته بفترة قد تكون طويلة أو قصيرة، ويحدث ذلك بأن يظهر الميت للحي في المنام ويخبره بأنه "سيركبه كما يركب الجمل"، وبذلك يظهر هذا الحي "ملبوسا" أو"ممسوسا" وإذا أظهرت روح هذا الميت كرامات واضحة مقنعة لأهل القرية أو العائلة التي ظهرت فيها فإنه يُبنى للميت ضريح أو مقام، وقد تتجلى مظاهر التقديس في الحي الذي لبسته روح هذا الميت ونجده يمارس "مستلزمات الولاية" من علاج المرضى، معرفة المجهول، الإنباء بالغيب وما إلى ذلك من كرامات.[2]

ورغم أن تفكيرنا في الأولياء ينصرف عادة إلى الذكور منهم، إلا أن هناك طائفة من الأولياء النساء التي تزخر بها بلاد المغرب العربي، إذ نجد في "المغرب الأقصى وليات صالحات لهن أضرحة تزار مثل لالة ميمونة ولالة يطّو "المعروفة بأم السعود"، ولالة عيشة البحرية... وغيرهم ، كما أن هناك شيخات محليات، كن نسوة عاديات ، وأظهرن إمارات الولاية - الكرامات -أثناء حياتهن أو بعد موتهن، فأقام لهن أهل القرى المقامات والأضرحة، ويحظين بموالد كبيرة مزدحمة أمثال "سعيدة المنوبية" بتونس والتي شيّدت لها زاويتان وهي تحظى بزيارة النساء والرجال، وتعتبر حارسة لتونس".[3]

وتشتهر الجزائر- إضافة إلى الولية الصالحة لالة تركية- بالعديد من الوليات الصالحات منهن لالة ستّي ولالة مغنية بتلمسان، ولالة خديجة ولالة ڨوراية ببلاد القبائل

1 **H.wenkler , die Reitend en geister des toten, Stuttgart, 1936-**

2 محمد الجوهري- مرجع سابق- ص: 57- 58.

3 مجلة مراسلات- نشرية معهد البحوث المغاربية المعاصرة- عدد75- 2003.

والتي تعتبرهم الأوساط الشعبية وليات صالحات يجلبن البركة إذ يحظين بزيارة الرجال والنساء لهن.

كما أن هناك وليات محليات لا تتجاوز شهرتهن حدود القرية أو الناحية التي يوجد بها ضريح الولية مثل: لالة يامنة جبلي التلمسانية ولالة رابحة[1] ونانا* عيشة** البوداوية[2].

ويرى نور الدين طوالبي أن الأولياء المعروفون في خدمة الدين يتحركون حسب تدرج أسمائهم، حيث ينقسمون إلى جماعات بحيث تقوم كل جماعة بمهمة خاصة، وعلى رأس المجموعة هناك[3]:

القطب: ويُعتقد أنه هو أعظم الأولياء الأحياء في زمن معين وأعلاهم شأنا، وإن كان البعض يرى أنه يحل في بعض الأولياء فترة بعد أخرى، وهو مكلف بالأفلاك السماوية ويضبط تنظيم سير الكون[4].

ثم يأتي مباشرة الغوث: وهو نوع من رئيس كهنة يكون مقره الدائم في قمة الكعبة وهو لا ينزل منه إلا مرة واحدة كل شهر ليتقاسم بعض الطعام مع ساكني الأماكن المقدسة.

ولعل هذه المرتبة أو الرتبة "الغوث" قد حظي بها حارس تلمسان الولي الصالح سيدي بومدين شعيب الاشبيلي، ولهذا اشتهر عند أهل منطقته بسيدي بومدين شعيب "الغوثي" نسبة إلى الغوث. وتحت تصرف هذين الوليين- القطب والغوث- جماعة من الأولياء موزعة تبعا لتخصصاتهم :

1 عبد العزيز بن علال الحسني الجزائري- Alkettanien.ahla montada.com
* نانا : لقب شرف نسائي يوازي "سيدة" والأصل فيه لالة إلا أن اللام أبدلت نونا .
** عيشة: تنطق بكسر العين، ويقصد بها العوام العلم المحض، وأصلها: عائشة.
2 لطيفة بوسفات- شعر الولية الصالحة نانا عيشة البوداوية- جمع ودراسة- مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية- جامعة أبو بكر بلقايد (تلمسان)- 2005/2004.
3 نور الدين طوالبي- مرجع سابق- ص: 135.
4 محمد الجوهري – مرجع سابق– ص : 46 .

1- الأوتاد:

وعددهم أربعة، يتموقعون في الجهات الأربعة الرئيسية: الشرق، الغرب، الشمال الجنوب، فهم بذلك ركائز العالم، وكثيرا ما تُعزى إليهم الهزات الأرضية التي تحدث في نقــاط مختلفة من العالم، فهم يقومون بذلك عندما يتراجع الإيمان في العالم، بمثابة اقتصاص منه.

2- الكتباء:

يبلغ عددهم سبعة، ويمثلون مختلف التيارات الإسلامية، حيث يحتل المذهب المالكي أربعة مقاعد مقابل واحد لكل من الشافعية والحنبلية والحنيفية.

3- الأبدال: وردت فيهم أحاديث بعضها تعدهم ثلاثين وبعضها الآخر أربعين، سموا بالأبدال لأن من مات منهم خلفه آخر[1] .

4- أهل الصفا:

عددهم اثنا عشر، يتميزون بالحسن والصفا ومن هنا جاءت تسميتهم، ينحصر وجودهم في المدينة المنورة التي تشكل مقرهم الدائم.

5- النجباء:

عددهم ثمانية وعشرون، وليس لهم مهمة دائمة سوى مراقبة جزء من العالم "الشرق"، وقد تضاربت الآراء حول مقرهم الأصلي، فالبعض يؤكد على بغداد والبعض الآخر يؤكد على مصر.

6- النقباء:

عددهم ثمانية وعشرون، عرفوا بتفوقهم بين الأولياء، تكمن مهمتهم في المراقبة كالنجباء ولكن في الغرب، يتمركزون في إفريقيا ما عدا مصر.

---

1 – سيدي عابد – رسالة ماجستير– مرجع سابق – ص : 35 .

7- الأسلاك:

وعددهم سبعة مخلصين، يتمتعون بالقدرة على إعادة الناس إلى الصراط المستقيم ليس لهم مقر ثابت.

8- المحجوبون:

عددهم خمسة وثلاثين، يتمتعون بالقدرة على كشف المستقبل.

9- الطيارين:

عددهم يقارب الستين، وسموا بهذا الاسم لأنهم منحوا إمكانية استعارة الأجنحة يطيرون بها لمساعدة الناس الذين يبحثون عن حلول لمشاكلهم المستعصية في مختلف أنحاء العالم.

10- أهل الخطوة:

عددهم خمسة، تقتصر مهمتهم على إعادة إرساء النظام الصحيح كلما اعترى تشويش إحدى مناطق العالم، لهذا فهم مزودون بأقدام عظيمة يقطعون بفضلها مسافات هائلة في "رمشة عين"، ويقول عنهم محمد الجوهري "أنهم يتنقلون لأداء الصلاة في مكة والمدينة والعودة سريعا"[1].

11- أرباب الكشف:

وينحصر عددهم في حدود أشخاص يتمتعون بقدرة هائلة على كشف أسرار الناس والدخول بالتالي إلى أعماقهم، إنهم يحملون ضمير البشر الأخلاقي.

1 محمد الجوهري- مرجع سابق- ص: 1958.

12- العبدليون:

عددهم ثلاثون، ترتكز مهمتهم على تقدير نزاهة البشر واحترامهم للتعاهدات التي يتخذونها.

13- أصحاب القبض:

هم في الأساس أعداء الجن الأشرار، وعددهم ثلاثون وهم قادرون على إلحاق النفع أو الضر بالناس، وإعلاء شأنهم وتحقيرهم في الوقت نفسه.

14- وأخيرا أهل الخزرة:

عددهم سبعة سموا بهدا الإسم لأن نظرهم ثاقب وحاد، يمتلكون قوة تنويمية لها تأثير يسبب مرضا شديدا يصيب أي شخص ارتكب خرقا للقدسيات أو تلفظ بعبارة وقحة معادية للدين، أو نقض حلفا عقده مع الولي.

المبحث الثاني:

1- الأولياء والكرامات:

لقد رأيت أنه من الأجدر والبديهي قبل الشروع في حكايات أو كرامات بعض الأولياء أن أقدم لمحة معرفية –خاطفة- عن مفهوم ومعنى الكرامة.

إن الكرامة لغويا مأخوذة من الإكرام والتكريم، قال ابن منظور"الكريم من صفات الله تعالى وأسمائه وهو كثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، وتعني أيضا عند ابن منظور: الطبق الذي يوضع على رأس القدر أو الحبّ، ويقال كرَمَ الفرس، إذا رق جلده ولان شعره وطابت رائحته"[1] .

أما اصطلاحا فقد أورد الدارسون عدة تعريفات للكرامة، فهي في نظر بعض الدارسين "تعتبر أمرا خارقا للعادة غير مقرون بدعوى النبوة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم المتابعة لنبي كُلّف بشريعته مصحوبا بصحة الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها أو لم يعلم بها"[2] وفي نظر البعض الآخر كالقشيري في رسالته "تعتبر أمرا خارقا للعادة غير مقرون بالتحدي يوجب لصاحبه الاحترام والتخصيص، لا التقديم والإتباع إلا أن يظهر عليه كمال الاستقامة والاستواء في إتباع الحق ظاهرا وباطنا على منهج السداد بلا علة فهي حينئذ توبة بلا إصرار، وعمل بلا فتور، وإخلاص بلا التفات، وتعيين بلا تردد، واستسلام بلا معارضة، وتفويض بلا تبرير، وتوكل بلا وهن"[3].

ونستخلص من هذين التعريفين أن الكرامة لا تتحقق إلا بتوفر ثلاث شروط أساسية وهي أولا أن تكون أمرا خارقا للعادة، وثانيا أن يكون هذا الفعل غير مقرون بالتحدي وأخيرا أن تظهر على عبد ظاهر الصلاح متبعا للنبي .

---

1 ابن منظور –مرجع سابق- ج 13- دار صادر- 2003-ص174(تفسيركلمة كرم)

2 عبد العزيز ابن محمد السلمان –مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية – الرياض- المملكة العربية السعودية- ط13- 2001- ص: 140

3 أبو القاسم القشيري-الرسالة القشيرية - تح : خليل المنصور -دار الكتب العلمية- بيروت ، لبنان-2001 – ص: 379,378

ولهذا كان الصلاح من أهم الأسباب والعوامل التي جعلت الناس يهرعون إلى هذه الولية الصالحة لالة تركية طلبا لدعواتها وبركاتها.

إن مركز الثقل الواضح بالنسبة لأي ولي من الأولياء هو الكرامات التي أتاها في حياته أو بعد مماته، فالكرامات هي الموضوع الذي تتجدد حوله الأحاديث وتتواتر بشأنه الروايات فمجال الكرامات مفتوح لأي شخص رأى الولي وشاهد منه ما شاء من كرامات ثم يحكيها، ثم تتناقل من جيل إلى جيل، أي بمعنى أن تلك الكرامات مستخلصة من حكايات الأولياء، وهي لهذا السبب تعكس لنا بكل جلاء التصور الشعبي للولي من حيث طبيعته وإمكانياته وقدراته وهي مبرر ولايته واعتقاد الناس في بركته، "والأولياء قادرون على ممارسة هذه الكرامات في حياتهم وبعد مماتهم على السواء ومن أقوى الكرامات التي يبديها الأولياء بعد وفاتهم التصدي بقوة لكل من تسول له نفسه اهانة ضريحهم أو الاعتداء عليه أو تدنيسه"[1] .

ويعتبر الاعتقاد في الأولياء من خلال التصور الشعبي من أهم المعتقدات إذ تعتبرهم الأوساط الشعبية رجالا مقربين من الله بواسطة طاعتهم له ولأعمالهم الصالحة، فهم يستطيعون الاتصال بالله أكثر من الآخرين فهم "الواسطة بين الإنسان وخالقه"[2]، كما يتمتعون بقدرات خارقة للعادة في حياتهم، ويحتفظون بتلك القدرات حتى بعد موتهم، وقد ربط المعتقد الشعبي الظواهر الطبيعية بكرامة ولي من الأولياء "كالكوارث الطبيعية الجفاف، الفيضانات، السيول... إلخ"، وفسر كل حادث اجتماعي أو سياسي بتدخل الولي، أو بدعاء هذا أو ذاك، كدعاء سيدي الهواري على أهل وهران، كما يحكى في الأوساط الشعبية بأنه دعا عليهم بعدما قتلوا ولده، وبسبب هذا الدعاء احتلهم الإسبان[3] .

ويختلف الأولياء من حيث المكانة الاجتماعية إذ ترتبط هذه المكانة بما حققوه من كرامات يرويها الأتباع والمريدون عن وليهم أو شيخهم، كما أن الكرامات تعتبر عاملا

1 – محمد الجوهري- مرجع سابق- ص: 48.
2 – أحمد رشدي صالح- الأدب الشعبي- مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)- ط 03 (1971)- ص: 124
3 – الأغابن عودة المزاري –طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19- ج1- تح: يحي بوعزيز-دار الغرب الإسلامي-بيروت لبنان – ط:01-1990-ص73

مهما في تقديس ذلك الولي، "والواقع أن أتباع الولي لم يكتفوا بأن تكون كراماته المعنوية التي تعتمد على أنه مثل وقدوة ونموذج أخلاقي فحسب، وإنما حاولوا أن يضفوا عليه كثيرا من القدرات الخاصة والكرامات الحسية المختلفة، واختلاق القصص التي تدل على استمرار الولي بعد وفاته في أداء وظيفته والقيام بدوره وأنه على استعداد لإجابة دعوة الداع إذا دعاه"[1] ويتوسلون به إلى الله لقضاء حاجاتهم، ولا يعبدونه عبادة كما يدعي البعض، لأن تقديس الأولياء في الأوساط الشعبية لا يخرج عن كونه نوعا من الشعائر ولا يرقى بأي حال من الأحوال إلى درجة العبادة .

يقول سمير المرزوقي : "الاعتقاد بكرامات الأولياء وخوارقهم اعتقاد شعبي راسخ، إذ عمد الإنسان الشعبي إلى قبور بعض الناس اشتهروا بالزهد وعرفوا بانتسابهم إلى شخصيات دينية مقدسة، وأحيطوا بهالة التقديس وبنيت على قبورهم المزارات وأصبح الإنسان الشعبي يؤمها شاكيا متاعبه وهمومه"[2] .

ولم تعد تؤدي حكايات الأولياء - بعد أن خرجت من مجتمع الجماعات الدينية المغلق إلى التجمعات الشعبية العامة، ومن الزوايا إلى الأسواق والساحات العامة- وظيفة دينية فحسب، بل أصبحت تؤدي وظائف جديدة، إذ عبرت عن معاناة الناس من البؤس والظلم وعن أمانيهم ورغبتهم في تجاوز هذا الظلم والبؤس، فصورت البؤس أو الظلم الذي كانت قطاعات واسعة من الجماهير تعاني منه، وجعلت كرامات الأولياء تقوم بكشف الضر عن الفقراء ورد حق المظلومين والانتقام لهم من المعتدين، ومن هذه الحكايات التي تصلح أن تكون مثالا في هذا المجال حكاية "سيدي عبد القادر والعجوز" وحكاية "الشيخ البودالي خديم سيدي عبد القادر"، اللتان ذكرهما عبد الحميد بورايو في كتابه الأدب الشعبي الجزائري، إذ تحكي القصة الأولى "أن الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ بومهدي والشيخ السبتي بلعباس والشيخ عيسى وجميعهم من الأولياء المعروفين، التقوا في أحد الأيام وترافقوا يبحثون عمن يقبل أن يستضيفهم، وكانوا متنكرين في زي رجال عاديين، ولم يقبل

---

1 – فاروق أحمد مصطفى- الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي- دار المعرفة الجامعية (مصر) 2008- ص: 29

2 – ناصر صبار- الفلكلور- دار الغرب للنشر والتوزيع وهران (الجزائر) 2004- ص: 29- نقلا عن سمير المرزوقي في كتابه : مدخل إلى نظرية القصة - ديوان المظبوعات الجامعية- الجزائر ص08

أحد استضافتهم فيما عدا عجوز كفيفة فقيرة تعيش مع ابنتها في كوخ، وليس عندها في البيت سوى عنزة وحفنة من الشعير، ورحبت العجوز بالضيوف ودعتهم للجلوس في كوخها، وخرجت لعلها تجد من يمنحها طعاما لضيوفها، ولكن جميع سكان القرية امتنعوا عن إعطائها شيئا فعادت المرأة إلى البيت والحيرة تملؤها فسألها ضيوفها عما يقلقها فشكت لهم ضيق ذات اليد، فطلب منها الشيخ "عبد القادر الجيلاني" أن تأتي بحفنة الشعير التي كانت تحتفظ بها وأن تحضر الرّحى، ثم قام وفرش ثوبه تحت الرحى، وشرعت ابنتها تطحن حفنة الشعير، وفجأة وبفضل بركة هذا الولي الصالح، تكاثر الشعير، وإذا بالبنت مستمرة في الطحن لمدة طويلة، بينما كان الدقيق ينزل من الرحى بغزارة، فملأت كل ما في البيت من أوعية، واستمر الدقيق يفيض على جوانب الرحى وحفنة الشعير باقية كما هي عند ذلك أمرت المرأة ابنتها بأن تذبح العنزة الوحيدة لضيوفها، رغم محاولة الجيران منعها عن ذلك......"[1].

وقد ذكرتني هذه القصة بقصة شبيهة لها حول فضل وبركة الولية الصالحة "لالة تركية" إذ يُحكى عن هذه المرأة الصالحة - وذلك في وفاة أحد أقاربي*، وبشهادة النسوة اللواتي حضرن الوفاة أو العزاء وشاهدوا كرامتها، وذلك عند خوف وحيرة أهل العزاء أن الطعام "الكسكس" لا يكفي المعزّين- أنها أدارت يدها المباركة على مجموعة من صحون وقصاع "الكسكس" وهي تقول: البركة البركة وفجأة وببركتها تكاثر الطعام وامتلأت القصاع والصحون وكفى جميع من حضروا العزاء، وقصاع وصحون الكسكس ممتلئة باقية كما هي وشملت بركتها أيضا ابريق القهوة والشاي، حيث ما إن وضعت يدها المباركة عليه تكاثر وشرب منه الجميع، وكلما شربوا ازداد وتكاثر، وبقي مملوءا كما كان"[2]، وبذلك رفعت هذه الولية الصالحة الغبن عن أهل العزاء وسترتهم ببركتها وقد اشتهرت هذه الولية الصالحة ببركتها في جميع الأفراح والأقراح التي كانت تحضرهم، إذ كانت تحول الماء ببركتها إلى سمن في هذه المناسبات وذلك بشهادة من شاهدها وعايشها، إذ يحضر لها

---

1 عبد الحميد بورايو- الأدب الشعبي الجزائري- مرجع سابق- ص: 130.
*** إبن عمتي توفي في سنة 1980 (وهي حادثة– حسب رواتها– واقعية) ومن هؤلاء الرواة: سيفاوي زينب ، 85 سنة ، بلدية سرقين، تيارت. وهي شاهدة على هذه الحادثة .**
2 الراوية : سيفاوي زينب – السن : 85 سنة – المنطقة : بلدية سرقين، دائرة قصر الشلالة، تيارت .

أصحاب العرس أو العزاء إناء فيه ماء عادي ثم تضع "المرابطة" أصبعها فيتحول بعد لحظات سمنا حرا، وهذه الكرامة ذكرها صاحب كتاب قاموس الأساطير الجزائرية[1] .

وذكر هذه الكرامة كذلك سليمان جوّادي وعلق عليها بقوله:.... "وعليك أن تصدق لأن هذه الظاهرة تكررت كثيرا وأمام أشخاص كثيرين لا يمكن أن نكذبهم جميعا" [2] .

أما القصة الثانية التي يذكرها عبد الحميد بورايو فهي تروي "أن رجلا فلاحا يدعى "البودالي" وكان من أتباع "عبد القادر الجيلاني" وقد نذر نفسه لخدمة هذا الولي الصالح فوهب جميع ما يملك صدقة على الفقراء والمحتاجين، ولمّا لم يبق له ما يقتات به اصطحب زوجته - وكانت امرأة جميلة- إلى إحدى المدن الكبرى، وعندما وصل إلى المدينة أبصر الخوجة - وهو نائب الحاكم ومستشاره في شؤون الناس- الزوجة الجميلة فأغرم بها، وأضمر للرجل حيلة لكي يسلبه زوجته، فاتهمه عند السلطان بالسكر والعربدة في الأماكن العمومية فزج به في السجن، عندئذ تدخل الشيخ "عبد القادر الجيلاني" وحمله في لحظة إلى الحج حيث جمع بينه وبين ابن السلطان الذي كان هناك، فشكا له حاله، وكتب الابن لوالده رسالة يعاتبه فيها على ما فعله بالرجل الصالح، ويكشف فيها عن فعلة الخوجة وحمله "الشيخ عبد القادر" مرة أخرى إلى قصر السلطان في لحظة قصيرة، فوجده لازال جالسا مع الخوجة وشهود الزور الذين اتهموه بالسكر والعربدة، عندئذ رمى الرجل بالرسالة في حجره... وعندما قرأها السلطان عرف الحقيقة، وأمر بقتل الخوجة ومعاقبة الشهود وهكذا استرد "البودالي" زوجته وأمر له السلطان بأموال وأملاك الخوجة"[3] .

وقد عبرت هذه الحكايات الثلاث عن المكانة الرفيعة التي يحتلها الأولياء في الأوساط الشعبية، باعتبارهم وسيلة يلجأ إليها الناس لرفع الغبن والفاقة و الظلم عنهم، وتحقيق أمانيهم وقضاء حوائجهم .

1 – عبد الرحمان بوزيدة- قاموس الأساطير الجزائرية - مرجع سابق- ص: 75 .
2 – سليمان جوّادي– المرابطة تركية : امرأة صالحة لها خوارق غريبة – جريدة الشروق العربي– العدد : 96 المؤرخ : من 10 إلى 17 مارس .
1993 . وقد أجرى هذا الصحفي معها حوارا ، أنظر الملحق : 135
3 – عبد الحميد بورايو – الأدب الشعبي الجزائري - مرجع سابق- ص: 131.

وكما تقدم ذكره، أن من بين المعتقدات الشعبية التي وردت في التعبير الشعبي أن أولياء الله يضرون وينفعون، وهم المقربون إلى الله، لذا نجدهم يتقدمون إليهم شاكين همومهم ومتضرعين إليهم طالبين منهم الشفاء والبركة وقد أفرط بعض العوام في قدرات الأولياء فاعتبروا أن قدرة الولي أقوى من قدرة الله، وفي هذا الشأن يقول الورتلاني "ومنهم من بركاته كالأمواج، الولي ذو البركة الظاهرة والحواري الباهرة، الشيخ سيدي عيسى* بن محمد قد انتفع به العامة والخاصة، وقد رد ببركاته عينا من ماء قطرانا لحيوانه، وأنه يشبع كل من أتى إليه ، وقد مسح على عين الأعور فرجعت أحسن مما قبل، فقال من لا معرفة له، عين سيدي عيسى خير من عين الله، ويعلق الورتلاني على ذلك بقوله: ولم يعلموا أن الكل من عند الله"[1].

وقد ارتبطت كرامات الأولياء ارتباطا كبيرا بعلاج الناس وشفائهم، والمجتمع الشعبي يزخر بكم هائل من هذه الكرامات المرتبطة بمداواة الناس والاستشفاء، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو القاسم سعد الله "عن الولي سيدي محمد بن يعقوب بناحية اللوريط بتلمسان حيث شاع عن هذا الولي أنه كان ببركته يبرئ من أمراض العين، وتوجد على القبر شجرة زيتون من أكل حبوبها شفي من عينيه وقد اختص سيدي الأنجاصي مثلا بمداواة المغص عند الأطفال وفي قبة سيدي القيسي يتداوى المرضى من الحمّى"[2].

ويورد لنا ابن مريم التلمساني في هذا المجال قصة للولي "سيدي حمزة ابن احمد المغراوي"، حيث كانت لهذا الولي فرسا، وهي حامل طلع بها عقبة "جبل" فأتعبها، فلمّا بلغ رأس العقبة أنطقها الله الذي أنطق كل شيء فقالت له أتعبتني يا حمزة فنزل عنها وخَلاّ عن سبيلها، فأصبح ذلك المكان الذي نطقت فيه الفرس مكانا مقدسا ومباركا وتربته أصبحت تشفي كل عليل[3] .

وللولية الصالحة لالة تركية باع كبير في هذا المجال، إذ يُحكى عنها - وهي شهادات حية وقصص واقعية حسب روايات أهلها وكل من عايشها- أنها ببركتها شفت الأعمى

* سيدي عيسى الدنداني الحسني المعروف بالدنيدني والذي تنتسب له "لالة تركية".

1 بن أحمد أحمد- الوعدة في الغرب الجزائري – رسالة دكتوراه- مرجع سابق- ص: 136.

2 أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي ج7- دار البصائر للنشر والتوزيع (الجزائر) 2007- ص: 251.

3 ابن مريم التلمساني- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر)- ص:94.

والأبكم والأصم وكان أول كلمة ينطق بها الأبكم حسب شهادة إحدى الراويات الملازمات لها هي كلمة "يا عيسى" وذلك بأمر من هذه الولية الصالحة له، قل: "يا عيسى" نسبة إلى جدها سيدي عيسى الدنداني الذي تنتسب إليه، وقد شفت حتى من فقد ذاكرته-شهادات حية- فقد استرجعها ببركة هذه المرأة الصالحة، إذ كانت تقيّد كل من فقد ذاكرته وجُنّ من رجليه بسلسلة في إحدى "أشجار"[1] زاويتها، وقد يبقى هذا المريض مدة شهر أو أقل أو أكثر وأحيانا سنة وهو على هذا الحال، إذ تتكفل "المرابطة" بمأكله ومشربه مع أن فراشه الأرض وغطاءه السماء ولكن وببركة هذه المرأة لا يأبه لا بحرارة الصيف ولا ببرودة الشتاء إلى أن يشفى ويسترجع ذاكرته فتفك عنه قيده ويأخذه أهله صحيحا سالما.

وببركتها أيضا قامت بالمداواة من أمراض عديدة وحتى المداواة من العقم إذ كانت قبلة وملجأ لكل من اعترضه أي مرض أو حُرم من الإنجاب حيث تقوم بطبخ مجموعة من الأعشاب في الماء وتضعها في قارورات ثم تقسّمها على جميع المرضى وببركتها يُشفى المريض ويُرزق الإنجاب من كان عقيما، كما كان دعاءها المستجاب - كما يشهد بذلك من عايشوها وعاصروها- دواء لكثير من المرضى وحلا لكثير من هموم ومشاكل زوارها ومحبيها، ولا زالت بركتها مستمرة حتى بعد وفاتها، إذ يعتبر ضريحها قبلة وملجأ لكثير من الزائرين رجالا ونساءً وخاصة في آخر أيام الأسبوع "الخميس والجمعة" متوسلين بها إلى الله لرفع ألامهم وكشف همومهم وتحقيق أحلامهم وأمانيهم.

إن هذه النماذج التي أوردناها والمتمثلة في المداواة والاستشفاء تؤكد بشكل قاطع اعتقاد الأوساط الشعبية في قدرة الأولياء على إبعاد المرض وإزالته ويبدو أن هذا الاعتقاد له ما يبرره في الأوساط الشعبية، حيث أمام عجز الطب الحديث في علاج بعض الأمراض الاستثنائية كالجنون مثلا أو العين الناتجة عادة عن حسد وغيرة الآخرين يلجأ المريض إلى متخصص في هكذا نوع من الأمراض وهو في –نظره- الولي الذي يتعدى برهانه ″قدرته″ كل براهين الطب الحديث .

1 الشجرة التي كانت لالة تركية تقيّد فيها المرضى والمجانين، أنظر الملحق : ص 129

"وفي الدراسة التي قام بها نور الدين طوالبي وجد هناك 42,4% من الأشخاص يرون أن الطبيب النفساني بالمقارنة مع الطالب هو بدعة حديثة وأنه -الطبيب- مشعوذ تبقى عادة مبادراته في الأمراض العقلية دون نتيجة ... وأكدوا كفاءة الطالب العلاجية في كونه حائزا على نوع من العلم الواسع المرفق ببركة إلهية بدونها تبقى معرفة مصدر المرض مستحيلة ... ويردف نور الدين طوالبي عاملا آخر مهما في الاستشفاء وهو الاستعدادات الداخلية "النفسية" للمريض"[1]، إذ يلاحظ في معظم الحالات أن المريض بفعل تقديسه لشخصية الولي ولكل ما يحيط بهذا الولي يسلم نفسه كلية لهذا الأخير الذي يلعب أحيانا دور الطبيب وخاصة في الأمراض النفسية المستعصية على الطب الحديث .

إن العامل الرئيسي الذي يدعو الناس لزيارة ضريح هذه الولية الصالحة يكمن في اعتقادهم الراسخ بأنه مصدر أساسي تفيض منه الكرامات والبركات، ولذلك يتوسلون بملامسة الضريح أو تقبيله، كما أنهم يعتقدون أيضا أن كل ما ينتمي من جزيئات المكان إلى الضريح فهو مبارك باعتباره مجالا قدسيا وموطأ كرامات الولي، "ويعتبر ضريح الولي دليل على استمراريته وبقاءه حيا يمنح البركة ويحل المشكلات رغم زوال جسده"[2] .

إن عملية تقبيل الجدران إحدى الممارسات الطقوسية التي يلجأ إليها الزائر لدى زيارة الولي، حيث يقوم بتقبيل الضريح والتمسح بحيطانه، لأن ذلك - في نظر الزائر- يجلب البركة وفي هذا المجال يقول مبارك الميلي: "ومن مظاهر هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران والتمسح بالحيطان وكل ما يضاف إلى ذلك المكان"[3] .

إن إيمان الزائر بامتلاك الولي أو الضريح تلك السلطة القوية النافذة في شعور الأوساط الشعبية مردّه لما بلغه من منزلة حيث لا يردّ له طلب أو دعاء وثمة أسباب كثيرة جعلت هذا الولي أو الضريح يمتلك هذه السلطة التي تشكلت من مركب من الانفعالات والمفاهيم التي تكونت عبر حقب زمنية في الذاكرة الشعبية، وأصبحت بالتالي تحدد دوافع سلوك الإنسان وردود أفعاله تجاه كل ما يرمز إلى الولي من معالم .

1 نور الدين طوالبي – في إشكالية المقدس – مرجع سابق- ص 43
2 علي زيغور- العقلية الصوفية ونفسانية التصوف- دار الطليعة (بيروت) 1979- ص: 193.
3 مبارك محمد الميلي- رسالة الشرك ومظاهره- مرجع سابق - ص: 362

وإذا كان هذا المخزون الاعتقادي يمثل السبب الداخلي "النفسي"، فإن هناك عوامل خارجية متعددة أسهمت في توطيد وتثبيت هذه الاعتقادات، ويتصدر الدور في ذلك الأشخاص الموهوبين ذوي الخيال الواسع، الذين يوجدون في كل مكان ويضطلعون بدور مهم في الدفاع المتحمس عن قداسة الولي وفاعليته التأثيرية على مجرى الأحداث سلبا وإيجابا، وهؤلاء قد يكونون قصاصين مهرة أو مداحين أو أشخاص عاديين، لكن في مجملهم ينتمون إلى الطبقة الشعبية الدنيا، وقد ورثوا القدرة على سرد قصص وخوارق الأولياء مستخدمين في ذلك أساليب الترهيب والترغيب والتشويق وتوظيف العنصر الأسطوري العجائبي والغرائبي للتأثير على نفوس الناس، ويلاحظ أن مضمون هذه القصص يتمحور حول القدرة الاستشفائية والتطهيرية للولي، وفي كثير من الأحيان ما تتخلل هذه القصص عناصر الترهيب وذلك بتذكير المتلقي بالقدرة الانتقامية للولي من كل من حاول أو نوى انتهاك حرمة ضريحه مستشهدين في ذلك بنماذج من الأحياء الذين لا زالوا يعانون إلى يومنا هذا من آثار لعنات الولي ونقمته ليكونون عبرة لمن يعتبر.

يضاف إلى هذا العامل البشري، العامل التوثيقي، ويتمثل في تلك الكتب التراثية التي تزخر بسير الأولياء وتراجمهم مثل كتب جامع كرامات الأولياء وحلية الأولياء وطبقات الأولياء...إلخ، فقد أدت هي أيضا دورا كبيرا في تشكيل المخيال الشعبي المولع بالخارق والعجيب، والمتطلع إلى تصور الولي متجاوزا طينته البشرية، متجليا برداء قدسي، كل هذا أسهم في رسم صورة قدسية للولي في عقول القصاصين والمداحين وعامة الناس، ولنا في كتابات أهل التصوف ومترجميهم أمثلة وشواهد تتضح بالترهيب والتخويف من التعرض إلى الأولياء وأضرحتهم، وفي هذا الصدد "يقول سيدي بومدين: من حرم احترام الأولياء ابتلاه الله بالمقت من خلقه"[1].

ويقول الورتلاني "إن المرابطين يكتبون في اللوح المحفوظ ولقد حذر "بن عيسى المازوني" من الاعتراض عليهم حتى بالقلب لأنهم كما قال جواسيس القلوب"[2].

---

1 عبد الحليم محمود- أبو مدين الغوث- حياته ومعراجه إلى الله- منشورات المكتبة العصرية، صيدا (بيروت) 1984- ص: 91.
2 أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي، ج1- مرجع سابق- ص: 489.

وإذا كان هذا شأن الموقف الصوفي القديم فإننا نجد أن التصوف الطرقي في العصور المتأخرة قد حذى حذوه في توقير سلطة الولي وإعلاء هيبته إلى درجة جعل سقوط المدن والمماليك نتاج لعنات الأولياء.

وحسب هواري التواتي "فإن ما حدث فيما يخص سقوط مدينة "وهران" في أيادي الإسبان فقد رد المخيال الشعبي الطرقي ذلك إلى لعنتين اثنتين أطلقهما الأولياء الكبار بسبب انتهاك الناس لمحارم الله وارتكابهم المعاصي والكبائر وإهاناتهم الكثيرة للأولياء وأحفادهم وأتباعهم والاعتداء على حرماتهم، فاللعنة الأولى أطلقها ولي وهران "سيدي محمد بن عمر الهواري" بسبب إدانة علماء وهران لابنه أحمد، وحكمهم عليه بالموت أما اللعنة الثانية فأطلقها "سيدي احمد بن يوسف" بسبب الأمر الذي صدر من السلطان بالقبض عليه لما رأى من التفاف الناس حوله وعلو شأنه بينهم مما أدى به إلى الفرار داعيا عليهم بالوبال، ولم يمضي وقت طويل على هذا الدعاء حتى احتل الإسبان وهران من البحر واحتلها الأتراك من البر وهكذا سقط الحكم الزياني وسلطانهم"[1] .

وإذا رجعنا إلى كتاب البستان لابن مريم التلمساني فسنجده هو أيضا يزخر بعبارات التحذير والتخويف من سلطة الولي ويحث على عدم التعرض إلى الأولياء بسوء، سواء كانوا أحياء أو أموات، ويدعوا إلى احترام أضرحتهم وأحفادهم وأتباعهم، ويحذر من كل ما يثير نقمتهم وغضبهم لأن سطوتهم شديدة وردعية وعاجلة، وهذا ما يتحدث عنه ابن مريم في قوله "... لاسيما إن كان لهم مدفن في البلد أو ذرية أو أصحاب يوجب لمن وقف على ذلك المحافظة على خدمتهم والهروب من انتهاك حرمتهم في ذريتهم وأصحابهم أو كلامهم أو فيما تعلق من الملهوفين بمن لابسهم أو خدمهم... وقد وقع كثير من الناس في بعض ما يتعلق بالأولياء وهو جاهل بهم فهلك والعياذ بالله هلاكا عظيما في دنياه وأخراه"[2].

وتحضرني هنا قصة واقعية للولية الصالحة "المرابطة تركية" – وذلك حسب شهادات أهلها وأهل المنطقة – لما انتقمت من الذي كان يسخر ويستهزأ بها وهي شهادات حية

---

1 سيدي عابد عبد القادر- رسالة ماجستير- مرجع سابق- ص: 07 نقلا عن هواري التواتي في كتابه :
Entre dieu et les hommes:lettres,saints et sorciers au Maghreb ˝17 siècle éditions. E,Hess, paris,1994.p:180

2 ابن مريم التلمساني – مرجع سابق- ص 07

يرددها كل من عرف وسمع وعايش هذه المرأة الصالحة، ومضمون القصة هو "أن أحد أبناء القياد أو القادة الموجودين بالناحية كان يستهزأ بها ويتخذها مسخرة حتى بحضورها فما كان منها إلا أن دعت ربها فاستجاب لها وتخيل الشاب أنه بنت فاعتاد البيت وصار يقوم بالأعمال المنزلية ويحرص على أدائها ويتصرف تصرف البنات وقد بقي على هذه الحال مدة ستة أشهر كاملة وبعدها جاء والده القائد إلى المرابطة تركية "شهادة حية" وإستسمحها فما كان عليها إلا أن سامحته وعاد إلى حالته العادية"[1] .

وقد جمعت قصة هذه الحادثة بروايات مختلفة، فالرواية الأولى وهي من إحدى نساء المنطقة[*]والتي شاهدت - حسب قولها- بأم عينها ابن القائد الذي سخر واستهزأ "بالمرابطة تركية" وهو يرتدي لباس الرجال ولكن في وسط النسوة يعمل عملهن ومتزين بزينتهن كالاكتحال وربط الحنة في يديه[2] .

أما الرواية الثانية فهي من أقارب لالة تركية وهي "زوجة أخيها الشهيد"، والتي سمعت الحادثة من فم "المرابطة"، إذ روت لي أن المرابطة أخبرت النسوة بأنه غدا سيأتيكم "فلان" "يلْبسْ لبْسة مرْتو ويخْدمْ مع لخْدِيمات"، وفي الصباح جاءت به أمه إلى "المرابطــة" وهي تبكي وتترجى "المرابطة" أن تعفو عنه، لكن ردت عليها "المرابطة" بقولها: "الكلْمة خرْجت من فُمّي حتّان إيكمّل مكتوب ربي"، وبقي ابنها مع النساء يعمل عملهن مرتديا لباس زوجته مدة ستة أشهر ثم عاد إلى حالته الطبيعية[3] .

والرواية الثالثة[4] فقد نقلتها من "ابنة المرابطة" والتي سمعت هذه الحادثة من أمها وهي شبيهة بالرواية الثانية إلا أن ابنة "المرابطة" أشارت في روايتها إلى قصيدتين شعبيتين ذُكرا في هده الحادثة وهذا دليل على أن هذه الحادثة ذاع صيتها واشتهرت عند

---

1 مأخوذة من وثيقة استلمتها من مسؤولي الزاوية وهي عبارة عن نبذة تاريخية لحياة لالة تركية.(هذه الحادثة وقعت في سنوات الأربعينيات)

*** المنطقة وأقصد تيارت وما جاورها**

2 الراوية: سيفاوي زينب، السن: 85 سنة، المنطقة: بلدية سرقين، ولاية تيارت .

3 الراوية: بوقلمونة أفريحة، السن: 75 سنة، المنطقة: بلدية الرشايقة، ولاية تيارت

4 الراوية: دحماني دنية، ابنة لالة تركية، السن: 68 سنة، المنطقة: بلدية الرشايقة، ولاية تيارت .

أهالي المنطقة وما جاورها، والقصيدة الأولى هي لأحد "الشعراء الشعبيين"[1] بالمنطقة وهو ابن عشيرة وعرش لالة تركية "عرش سيدي عيسى" ويقول في قصيدته التي تصف هذه الحادثـة :

جَاهَا راجلْ أرْجعْ أُوْليّـة* وتْرتـّبْ عنـّوا الْفرْض مع النسْوان

عَادْ يَرْبطْ في الحنـّــة منْ الْمرافقْ حتّـان للصيقـــان*

أُوْقَـاعدْ فلْخَالـْفة* تَلْقالُو*عليـة*

والقصيدة الثانية هي لأم ابن القائد تصف فيها حالة ابنها وتمدح لالة تركية بقولها الطيب*سكّر* دارو عنّي أدْرقْ أخْيالوا في طاعتك ما قْلْناش*

أنا جبْتو أُوْرَبّيْتو وانْتي دَيْتي وسْعيتي يَبْقى أخْديم الْعوّ اس*

وقد ذكرت لي هذه الأبيات أيضا "أخت المرابطة"[2] والتي تعتبر أكبر أقارب "المرابطة" سنا، إذ لم تسمع هذه الحادثة بل عاشتها وشاهدتها، حيث روت لي أن "المرابطة" في أحد الأيام طلبت من الزائرين الذين كانوا عندها أن يأتي كل واحد منهم بفاكهـة البطيـخ "الدلاّع" ويشقها، وكل بطيخة على حسب نية صاحبها، أو كما قالت لالة تركية "كل واحد حسب دلاعتو" فلما قام الزائرون بشق البطيخ وجدوا هذا البطيخ "الدلاّع" طازجا محمرًّا غير فاسد عاكسا نيتهم الصادقة في زيارة "المرابطة" والتبرك بها، إلى أن جاء دور ابن القائد وشق بطيخته وفجأة وجد الديدان والأوساخ تكسوها والرائحة النتنة تفوح منها وقالت المرابطة للزائرين "يخْدمْ خدْمة واشْ أنْوى" لأنه كان يضمر نية سيئة وخبيثة

---

1 "سي يحي فاطمي الملقب بسي يحي الأعمى" رحمه الله، شاعر شعبي معروف عند أهل المنطقة وخاصة في عرش سيدي عيسى الدنداني توفي في أربعينيات القرن الماضي .

*** أولية = إمرأة، الصيقان = جمع صاق أي ساق وكتبت بالصاد حفاظا على ما تصوت به في اللغة الشعبية، الخالفة = تطلق على إحدى جهات الخيمة، حيث تخصص هذه الجهة للنساء ، تلقالوا = تناديه ، علْية = إسم أطلقته لالة تركية على من استهزأ بها .**

*** الطيب = أسم ابن القائد، سكّر = أغلق، ما قلناش = لم نقل شيئا، العواس = نسبة إلى الولي الصالح سيدي عيسى الدنيدني الذي تنتسب إليه لالة تركية.**

2 أخت لالة تركية– خيرة– ورثت أختها في بعض كراماتها وبركاتها إذ لا يكاد الناس ينقطعون عن زيارتها في بيتها للاستشفاء والتماس البركة .

تُجاه هذه الولية الصالحة ولبث عندها تسع سنين وليس ستة أشهر كما في الروايات السابقة ملازما لمجالس النساء يلبس لباسهن ويعمل عملهن .

ولاحظت أثناء جمع هذه الروايات أن راويات هذه القصة تحرّجن من ذكر سبب هذه الحادثة بصراحة، واكتفين فقط بأنه سخر واستهزأ بها أو اغتابها، أما ابن أخت لالة تركية فقد ذكر لي سبب هذه الحادثة بكل صراحة وذلك حسب ما روت له أمه وهو أن لالة تركية كانت "ذات جمال"[1] فائق أبهر كل من شاهدها، فأراد بها ابن القائد أثناء زيارته لها سوءا ولكن بفضل الله ومنه على أولياءه الصالحين بإطلاعهم على بعض المغيبات علمت بسوء نية هذا الرجل وحدث ما حدث وقد تفاجأ صاحبه بذلك بقوله: كيف علمت لالة تركية بنية صاحبي "ابن القائد" وقد أخبرني أنا فقط، ومن ثم تأكد أن هذه المرأة هي ولية صالحة لا يمكن الاستهزاء والسخرية بها، وبعد هذه الحادثة أصبح ابن القائد من أحرص وأبرّ خدمها هو وعائلته إلى أن توفي وبقى أولاده وأحفاده بعده إلى يومنا هذا يزورون ضريح لالة تركية للتبرك به، وللأمانة العلمية أشير إلى أن ما ذكره صاحب كتاب قاموس الأساطير الجزائرية أن هذا -ابن القائد- .... "وجد نفسه ينزل منه دم الحيض..."[2] لا أساس له من الصحة والقصد من أنه تحول إلى امرأة أي تشبه بالنساء في حركاتهن وسكناتهن وفي لباسهن وزينتهن وعملهن.

وقد دلت هذه القصة الواقعية- والتي لا يخلو بيت من بيوت أهل المنطقة إلا وعاشها أو سمع بها - على القدرة والسلطة التي يمنحها الله إلى أولياءه الصالحين في وجه من يتعرض إليهم بسوء مهما كانت مكانته الاجتماعية، حتى وإن كان ابن قائد تتودد إليه الناس وتحرص على خدمته وطاعته وتتمنى كل امرأة أن تظفر به بل أن تراه فقط، ولكن بلعنة الولي يفقد هذا العزيز في قومه زعامته وجاهه ورجولته ويصبح بعد ما كان مفخرة في قومه مدعاة للسخرية والاستهزاء.

---

1 لشدة جمالها يردد أهل المنطقة وكل من شاهده"المرابطة" أثناء شبابها هذه الكلمة "عَنْدها زين أنْتاع روْحانية".
2 عبد الرحمان بوزيدة- مرجع سابق- ص: 75.

2- الأولياء والجن:

إن الدافع الأساسي للتطرق لعلاقة الأولياء بالجن هو حتى يمكننا التمييز بين أولياء الرحمان الذين سخر الله لهم الجن لخدمتهم وإعانتهم في خدمة الناس وقضاء حوائجهم ورد مظالمهم، وأولياء الشيطان الذين يستعينون بالجن من أجل إلحاق الضرر بالناس واذايتهم كنهب أموالهم وتهديدهم وترويعهم. وما أحسن ما ذكره ابن تيمية في هذه المسألة من التفصيل في أحوال الإنس مع الجن إذ يقول: "والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال: فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه صلى الله عليه وآله، ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه. ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون ذلك...الخ. ومن كان يستعمل الجن فيما نهى الله عنه ورسوله، إما في الشرك وإما في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص: إما فاسق، وإما مذنب غير فاسق..."[1] .

وبناء على ما تقدم أقول إن المدعي تسخير الجن إما أن يكون يستعين بهم في طاعة الله وتبليغ شرعه كأن يكون هذا الجن وسيطا بين الولي ونظرائه من الجن، أو أن يستعين بهم في أمور مباحة، وإما أن يستعين بهم في أمور محرمة كنهب أموال الناس وترويعهم ولعل أكثر الذين يتعاملون مع الجن ويسخّرونهم لخدمتهم هم في الواقع بعيدون عن الهدى حائدون عن الصراط، ملازمون للكبائر تاركون للصلوات أو مضيعون لها، مجاورون للأقذار والنجاسات كذابون، أفاكون، دجالون، يبتزون الأموال، ويتعاطون السحر ويتعاملون به وهؤلاء هم أولياء الشيطان .

1 ابن تيمية- مجموع الفتاوى- المجلد السادس- دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – ج.م.ع – المنصورة - - ط: 02- 2001- ص: 169.

وحاشا أن تكون الولية الصالحة من هذا الصنف الأخير النجس، وهي التي حفظت القرآن الكريم ولم تتجاوز الخامسة عشر ربيعا - حسب شهادة أهلها - ويشهد لها كل من شاهدها وعايشها وحتى من سمع بها أنها امرأة صالحة ذات زهد وورع وتقوى محافظة على صلواتها، ممتثلة لأوامر الله ومجتنبة لنواهيه، ولا تخلوا مجالسها من الوعظ الإرشاد وذكر الله، وكانت بشهادة أهلها ومن عاصروها تمقت مظاهر الدجل والشعوذة .

ولا غرابة إذن إذا قلنا أن هذه الولية قد من الله عليها بتسخيره لها هذه الكائنات الروحانية "الجن" ويتجلى ذلك - منذ صباها وهي لا تتجاوز عشر سنوات أو أكثر من ذلك - باختلاف الروايات- في رحلتها الروحانية وذلك حسب شهود عيان من أهلها وممن عاشروها وعاشوا في زمن صباها، إذ خرجت من قبيلتها دون إرادتها فساقها من ساقها من الأرواح من مسقط رأسها "دوار" سيدي عيسى وحاليا دائرة سيدي عيسى بولاية المسيلة إلى فاس ومكناس بالمغرب.... فأخذت البريئة تنتقل من منطقة إلى أخرى بين الجبال والكهوف لا أنيس لها سوى رب يحميها من مخاطر الإنس والدواب معتمدة على ثمار الطبيعة في توفير قوتها[1].

وقد كانت هذه الولية الصالحة ملاذا لكل من ضاعت له أغراضه أو سرقت، فالمرأة التي أضاعت سياقتها أو سرقت منها تتوجه مباشرة إلى لالة تركية شاكية وباكية تتوسل "المرابطة" أن ترجع لها سياقتها وفجأة وبمن من الله على هذه الولية الصالحة تُرجع لها ما ضاع أو سرق منها وتجد سياقتها كما هي[2]، ولا شكّ أن اللـه عز وجل قد سخر لها مخلوقاته الروحانية ״الجن״ في استرجاع ما ضاع أو ما سرق.

والقصص في هذا المجال كثيرة لا يكاد يحصيها ويتذكرها من عاصرها وعايشها وكان آخر ما حدث لهذه الولية الصالحة في هذا المجال هو أثناء تأديتها لمناسك الحج عندما "جاءتها امرأة كانت برفقتها تشكي وتبكي وتترجاها أن ترد أغراضها المهمة والمتمثلة في وثائق إدارية "كجواز سفر... وغيرها" والتي سرقت أو ضاعت منها وفجأة جاءت لها لالة تركية بأغراضها وأزالت حيرتها وقلقها، ولكنها ندمت هذه الولية الصالحة على هذا الفعل

1 مأخوذة من وثيقة استلمتها من مسؤولي الزاوية ، أنظر الملحق : حكاية الرحلة الروحانية ص: 97،100، 101 .
2 أنظر الملحق : حكاية أمباركة القصراوية ص 112 .

وأحست و كأنها تجاوزت حدودها وأذنبت وهي بجوار مقام النبي صلى الله عليه وآله وذلك بعدما رأت نبيها في المنام –كما رُوي عن أهلها- وهو يعاتبها بقوله :"أُوْلاشْ هاذْ الشِّي إيْصِيرْ" فذهبت إليه معتذرة له على ما بدر منها قرب مقامه وعاهدت ربها عند مقام النبي صلى الله عليه وآله بقولها: أترك كل شيء هنا[1]، وكان ذلك فعلا إذ بعد إتمامها مناسك الحج وعودتها إلى أرض الوطن كانت تقول لكل من يلجأ إليها من أجل استعادة ما ضاع أو سُرق منه، تركت كل شيء عند النبي صلى الله عليه وآله وإن شاء الله ستجد ما ضاع أو سرق ولا تُرجعه له كما كانت تفعل من قبل.

ولهذه الولية الصالحة مناقب وكرامات كثيرة حباها الله إياها لصلاحها وتقواها وتفانيها في خدمة عباده وتواضعها وتذللها لمولاها إذ كانت هذه الكلمة لا تفارق مُحيّاها "هذا من فضل ربي"، وصدق القائل "بأن كرامات الأولياء لا تنكر، ومناقبهم أكثر من أن تحصر"[2] .

وفي ختام هذا المبحث أشير إلى أن إنكار الكرامات من بعض الفئات ليس غريبا إذ لم يشاهدوا ذلك بأنفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم أو علمائهم، وربما حتى وإن شاهدوا ذلك لأصروا على إنكارهم واعتبروا تلك الكرامات مجرد سحر وشعوذة، وبذلك وقعوا في أولياء الله تعالى أهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون أديمهم كما وقعت الأقوام السالفة في أنبيائهم بإنكار معجزاتهم واتهامهم بالسحر والكهنة والجنون .

وقد ثبتت كرامات الأولياء في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وفي آثار الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم إلى يومنا هذا، وأقرها جمهور العلماء من المسلمين، من الفقهاء والمحدثين والأصوليين ومشايخ الصوفية، وتصانيفهم ناطقة بذلك كما ثبتت كذلك بالمشاهدة العيانية في مختلف العصور الإسلامية، ولم ينكرها إلا أهل البدع والانحراف ممن ضعف إيمانهم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله . قال العلامة اليافعي رحمه الله: "والناس في إنكار الكرامات مختلفون، فمنهم من ينكر كرامات الأولياء مطلقا، وهؤلاء

1 أنظر الملحق : حادثة الحج ص 111

2 – شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف – تح: محمد ناصر الدين الألباني -دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة- ط: 01-2010-ص:245.

أهل مذهب معروف، عن التوفيق مصروف، ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانه كمعروف الكرخي والإمام الجنيد وسهل التستري وأشباههم رضي الله عنهم، فهؤلاء كما قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: والله ماهي إلا إسرائيلية، صدّقوا بموسى وكذّبوا بمحمد صلى الله عليه وآله لأنهم أدركوا زمنه، ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ولا يصدق بأحد معين من أهل زمانه"[1]

1 – عبد الله بن أسعد اليافعي-روض الرياحين في حكايات الصالحين-دار الفكر بيروت لبنان- د ت- ص18

الفصل الثالث

التحليل النفسي لحكايات لالة ت ركية

المبحث الأول :

نبذة تاريخية عن حياة لالة تركية

المبحث الثاني :

دراسة النماذج

المبحث الأول:

نبذة تاريخية عن حياة لالة تركية:

إن المولى عز وجل يختص برحمته من يشاء، ويؤتي فضله من يريد من الرجال والنساء، فهو المعطي المانع، والمعز والمذل، والخلق جميع عبيده، نواصيهم بيده، وبلادنا الجزائر المحروسة حافل تاريخها المجيد، بفضل الله تعالى وجوده، بأهل الخير والصلاح من الممنون عليهم ذكورا وإناثا.

"ومن النساء الفضليات الشائع ذكرهن في أقطار الجزائر الولية الصالحة والثمرة الفالحة "لالة تركية" قدس الله سرها، تلك المرأة الشريفة العفيفة التي يزخر تراثنا الشعبي بالحديث عن أخبارها وكراماتها إلى درجة أن صلاحها أصبح مضرب الأمثال يتردد على الشفاه في المدائح وطيب الأقوال"[1]. فمن هي رحمة الله عليها يا ترى؟

أ - التعريف بالولية:

هي الولية الصالحة "طاهي تركية" بنت علي ابن يحي ابن محمد ابن عبد القادر ابن إبراهيم ابن طه ابن علي بن يحي ابن عيسى والذي هو سيدي عيسى ابن أمحمد من آل البيت نسبة إلى علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه و فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وآله، حيث يتواجد ضريح سيدي عيسى بمدينة سيدي عيسى ولاية المسيلة[2].

ب – مولدها ونشأتها:

ولدت الولية الصالحة لالة تركية بنت علي سنة 1324هـ الموافق لـ1903م بدوار سيدي عيسى وحاليا دائرة سيدي عيسى ولاية المسيلة من أسرة محافظة على الدين والأخلاق الإسلامية وتقاليد وعادات العرب الأحرار من أهل البوادي الذين اتصفوا بالجود والكرم، وعبادتهم لله وحبهم لرسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وقد أنجب أبوها لها

1- بلقاسم ايت حمو، لالة تركية الولية الصالحة والثمرة الفالحة- جريدة الفجر- العدد 3326 المؤرخ في 2011/09/12 .

2-مأخوذة من وثيقة استلمتها من مسؤولي الزاوية وكذلك من مقال: بلقاسم آيت حمو- مرجع نفسه .

ثلاث أخوات لا زالت واحدة منهن على قيد الحياة، وأخ واحد استشهد بأن حرب التحرير[1]. وحسب ما رووه لي أهلها أن لها أيضا أخا آخر توفي صغيرا.

نشأت لالة تركية وترعرعت بين أحضان عشيرتها وحين بلغت السنة الخامسة ساعدها أبوها وشجعها على حفظ القرآن وكانت قد ألمّت به وسنها لم يتجاوز الخامسة عشر ربيعا، وكما تقدم ذكره أن في هذه المرحلة أخذت حياتها منعرجا آخر وتمثل ذلك في رحلتها الروحانية التي جالت وطافت فيها مناطق عديدة.

ج - تجوالها:

تجدر الإشارة إلى عدم الوصول إلى تحديد سنها ولا إلى المدة التي كان تمكثها في كل ناحية بدقة نظرا لعدم وجود من كان يتتبع تحركاتها وحتى هي كانت لا ترغب كثيرا بالحديث عن سنها وعن مكوثها لكونها غير مهتمة بهما في ذلك الوقت[2].

وقد طافت أرجاء عديدة في هذه الرحلة الروحانية نذكر منها ناحية حاسي مسعود ورقلة، حاسي الرمل، الأغواط، أفلو، عين الصفراء، المشرية، البيض، الشلف، خميس مليانة، سعيدة، وبهذه الأخيرة يقال أنها مكثت بإحدى الخلوات مدة من الزمن، كما زارت كل من فاس ومكناس في المغرب والساقية الحمراء وواد الذهب، وعادت أخيرا إلى منطقة الرشايقة بولاية تيارت مقر زاويتها وضريحها حاليا[3]. ومنطقة الرشايقة أو بلدية الرشايقة هي منطقة فلاحية ورعوية، تقع شرق ولاية تيارت على بعد حوالي سبعين كيلومتر، بها حاليا مقر زاوية وضريح لالة تركية.

وحدثت هذه الرحلة الروحانية للولية الصالحة لالة تركية،-حسب ما روت لي أختها- مرتين: فرحلتها الأولى دامت سنة كاملة[4]، أما رحلتها الثانية فدامت خمس سنوات.

1-مأخوذة من وثيقة استلمتها من مسؤولي الزاوية.
2-المرجع نفسه.
3-المرجع نفسه وكذلك من روايات أفراد عائلتها.
4-حسب رواية أخت لالة تركية«خيرة»: أنها ارتحلت يوم ثاني عد الأضحى وعادت يوم ثاني عيد الأضحى، أي غابت مدة سنة كاملة.

د - زواجها:

تزوجت لالة تركية من ابن قبيلتها و عشيرتها " عرش سيدي عيسى" يدعى دحماني عبد العزيز وكان ذلك حسب شهادة أهلها ومن عايشوها في سنة 1923 وأنجبت معه أربع بنات توفيت واحدة منهن، وولد وحيد يُدعى "أحميدة" توفى سنة 1975 تاركا سبعة أبناء وبنت، ويقوم الابن الأكبر "الحاج علي" حفيد لالة تركية بالإشراف والقيام على شؤون الزاوية وذلك بمساعدة أفراد عائلته.

هـ - البعض من كراماتها:

سبق أن ذكرت بعض كراماتها والمتمثلة في قدرتها على الاستشفاء وبركتها في الأفراح والأقراح وقصتها مع ابن القائد، وسأتطرق هنا إلى كرامات أخرى عُرفت واشتُهرت بها لالة تركية عند أهل منطقتها وعند كل من عرفوها وعايشوها وهي:

1 - حصولها على المزرعة:

هذه المزرعة بها زاويتها حاليا، وكانت لأحد المعمرين الفرنسيين وزارتها لالة تركية وأعجبت بها وحاولت شراءها من المعمر إلا أنه لما رأى حرصها على المزرعة قدرها بثمن تعجيزي، لكنها بفضل استجابة الله لدعواتها وكراماتها التي كرمها الله بها جعلت من ذلك المعمر يتراجع عن ثمنه التعجيزي، وطلب منها أن تحدد المبلغ بنفسها، فشكرت الله و حمدته على فضله ونعمته ودفعت للمعمر ثمنها، واستغرب الناس عن كيفية الحصول على المزرعة بعد تعنت المعمر فكان جوابها في كل مرة هذا من فضل ربي[1]*.

1-مأخوذة من وثيقة استلمتها من مسؤولي الزاوية.

***- لقد جمعت عدة روايات حول هذه الحادثة- حصولها على المزرعة- أنظر الملحق: ص104، 105**

وقد أبدعت إحدى "شاعرات"[1] المنطقة في وصف هذه الحادثة بقولها:

الله الله يـا مـَوْلايــــا	يــا شفيــع المخلوقات
"قبّلي"[2] زَورة تـركيـة	هي مفتــاح الســادات
تركيـة من ناس "الدالـة"[3]	تقرى "اللوحة والبسمالــة"[4]
قْلتْ أنْروح الْ "بنت أعويسة"[5]	حَوْش الرّومي "ولّى مرسى"[6]
كِي عاد "إيْبايعْ ويْسامح"[7]	باع "الحوش مــع الشجرات"[8]

2 - قصتها مع العساكر الفرنسية:

لما سمع الحاكم العسكري الموجود بالناحية بأنها أصبحت محورا ومقرا لتجمع السكان لكونها امرأة صالحة، أمر عساكره بالتوجه إليها والتنكيل بها، فتوجهت فرقة من العساكر المدعمة بالكلاب المدربة، وما إن وصلوا عندها بدأوا في استفزازها وإذلالها لإبعاد الناس عنها، وما إن أطلقوا عليها كلابهم لتهشمها أمام مرأى الزائرين حيث كانوا يرددون: أنظروا ما ذا ستفعل كلابنا بامرأتكم هذه، وإن كانت أمرابطة فلتدافع عن نفسها ولما انطلقت الكلاب وما إن وصلت إليها حتى صارت كالخرفان تتودد وتحتك بملابسها وما قالته سوى الحمد لله هذا من فضل ربي[9]. وقد علق سليمان جوّادي عن هذه الكرامة بقوله : "الكلاب الشرسة الوديعة"[10] .

1-شاعرة من أهل المنطقة ومن عرش سيدي عيسى الذي تنتمي له لالة تركية تدعى "الصْغيرة" توفيت في الستينات.
2-قبّلي: تقبّل مني.
3-الدالة: هي رتبة صوفية تنقسم إلى ثلاث أقسام: أ. أهل الحال: مثل الدراويش، ب- أهل الجلال: أصحاب العلم، ج- أهل الكمال: أصحاب العلم والكرامات.
4-اللوحة والبسمالة: تقصد القرآن الكريم.
5-بنت أعويسة: تقصد لالة تركية بنت سيدي عيسى.
6-ولّى مرسى: أصبح مقرا لهذه الولية الصالحة.
7-يبيع ويعتذر.
8-باع مسكنه مع مزرعته.
9- المرجع السابق: الوثيقة.
10-سليمان جوّادي– المرابطة تركية : امرأة صالحة لها خوارق غريبة، الشروق العربي، العدد: 96 المؤرخ: من 10 إلى 17 مارس 1993 .

و - دورها بأن ثورة التحرير:

لقد لعبت لالة تركية وبحكم مكانتها في الأوساط الشعبية دورا كبيرا في مساعدة المجاهدين "ومن بين ما قامت به أنها كانت تخبأ الأسلحة في محيط زاويتها كما "اختبأ"* عندها الكثير من المجاهدين الذين كانوا بالمنطقة أو أولئك الذين يأتون من بعيد كما كانت زاويتها ملجأ لهم ومركز عبور ومكانا للراحة واستعادة قواهم والدليل على ذلك شهادة الكثير ممن عايشوا الثورة وأكثر من هذا كانت في بعض الأحيان هي التي تشرف على عملية نقلهم من منطقة لأخرى بواسطة شاحنة أحد المحبين لها، وكدليل آخر بعض "الصور"# التي التقطت لبعض المجاهدين في الزاوية"[1].

كما كانت لها عدة نشاطات اجتماعية منها "تربية الناس على التمسك بالدين وطاعة الله، وحب رسوله صلى الله عليه وآله وطاعة الوالدين، فقد كانت تبغض صاحب الأخلاق السيئة وتحذره من غضب الله عليه، وتحث على طاعة الوالدين، فكانت في كل مرة تقول لزائريها "أطيعوا والديكم ثم أطيعوني" حسب شهادات من عايشوها، وكانت زاويتها مأوى لكثير من الناس فقد بقي عندها من كان مريضا حتى شفي بإذن الله، وبقي عندها العديد من البنات حتى زوجتهن بنفسها، ومن الشباب حتى أسكنتهم وزوجتهم، وبقي عندها الشيوخ والعجائز حتى توفوا وغيرهم، وهذه شهادة حية اشهد بها كوني رأيتهم وعايشتهم، ويشهد بها حتى البعض من المعنيين"[2].

وكان لها دورا بارزا في إنشاء الصلح بين الناس لكونها، أصبحت ذات مكانة محترمة بين الجميع فلا يجرؤ أحد أن يرد لها طلبا ومن هنا تمحور دورها في تسهيل عمليات الزواج وفك الخصومات بين الزوجين وعائلتيهما واسترداد الحقوق إلى أصحابها ولمّ الشمل حتى أن بعضهم كانوا يأخذونها في عملية الخطبة أو إرجاع الزوجة أو فك الخصام لأنهم كانوا متأكدين أنه لن يرد لهم طلب بحضورها.

---

*- المكان الذي كانت تخبّأ فيه لالة تركية الأسلحة والمجاهدين، انظر الملحق: ص131 .

#- صور لبعض المجاهدين في الزاوية، أنظر الملحق: ص 127 .

1- بلقاسم أيت حمو، مقال: لالة تركية الولية الصالحة والثمرة الفالحة، جريدة الفجر، مرجع سابق.

2-المرجع نفسه، ولازال صاحب هذا المقال -بلقاسم آيت حمو- حسب شهادة أهلها يتردد على زاويتها إلى يومنا هذا.

كما قامت بعدة أعمال خيرية منها:"بناء مسجد بزاويتها والاعتكاف به ولم شمل أهل الناحية خاصة أيام الأعياد الدينية كونهم بعيدين عن القرية ولا يمكنهم التنقل إليها، وفتحت مدرسة قرآنية وتحمّلت أعباءها من إطعام وإيواء الطلبة الذين كانوا يدرسون بها وساعدت كل من احتاج إليها لترميم مسكنه أو بنائه، أو تزويج أحد أولاده"[1].

ونظرا للشهرة التي اكتسبتها حظيت- شهادات حية- بزيارة التلفزيون الجزائري لها والذي أجرى معها حوارا "روبورتاج" وكان ذلك قبل وفاتها بأيام أو بيوم واحد كما روو لي أهلها .

وتركت هذه الولية الصالحة قبل وفاتها حكما عديدة تعكس لنا بجلاء نظرتها الثاقبة للمستقبل وإطّلاعها بمنّ وفضل الله عليها لبعض الحوادث التي تنبأت بها وجرت بعد وفاتها.

وأشير هنا إلى حكمة واحدة والتي شدّت انتباهي وأثارت دهشتي وهي تنبّؤها بالعشرية السوداء التي مرت بها الجزائر قبل حدوثها بعقد من الزمن أو أكثر – حسب شهادات أهلها ومن عاصرها- حيث قالت: "إِيْجِي"[2] الْعام "فِيسْ"[3] وِيْجي فيه "لعْمى وتْيفِيس"[4] واللِّي مَاعْماش منْ عينيه يعمى منْ قلبو". وروت لي ابنتها أننا عند سماع هذه المقولة كنا نتساءل: ماذا تقول؟ ماذا تعني بالفيس؟ ولكن عندما أدركنا فترة التسعينات وما حدث فيها علمنا وعرفنا ما كانت تقصده من هذه المقولة أو الحكمة.

1-بلقاسم آيت حمو: مرجع السابق.
2-إِيْجي: يأتي
3-فِيس: تقصد به الحزب المنحل: الجبهة الإسلامية للإنقاذ.
4-لعْمى وتْيفيس: تشير إلى أحداث العشرية السوداء، فهي هنا لا تقصد عمى الأبصار بل تقصد عمى القلوب التي لا ترى ضيرا في قتل الأبرياء.

ي - وفاتها:

سلّمت هذه الولية الصالحة روحها إلى بارئها في صبيحة يوم السبت 18 جوان 1993 ودفنت يوم الأحد بمقر زاويتها.

ومما روى عن وفاتها -وهي شهادات حية يشهد بها كل من حضر مراسيم الجنازة والدفن- أنها "تحركت أو تزحزت"[1] من مكانها أثناء تغسيلها، ونزل مطر خفيف غير عادي "رش"، وذلك في عز الظهيرة وفي مكان أداء صلاة الجنازة فقط، وأثناء الشروع في دفنها فاحت رائحة طيبة من قبرها كأنها رائحة المسك، وبعد دفنها بيوم واحد وجدوا قبرها منشقا وببركتها طعام العزاء كفى جميع "الجموع الغفيرة"[2] التي توافدت إلى مقر زاويتها للتعزية.

وقد جمعني لقاء شيق مع حفيدها "دحماني عيسى" والذي قال لي: إن في أيام عزاءها بقينا نحن أفراد عائلتها وببركتها مدة خمسة عشر يوما بلا مأكل ولا مشرب و حتى النوم كنا ننام نادرا فقط، وذلك نظرا للطوفان البشرية الوافدة على زاويتها للتعزية وامتثالا لوصيتها: "راها وِيدان جَايتْكُم"[3] يجب أن تحسنوا استقبالهم.

1-وهذا بشهادة أختها التي تكفلت بتغسيلها.
2-في أيام وفاتها كان كل من يمر على زاويتها المحاذية لإحدى الطرق الوطنية يتساءل هل هذا سوق جديد؟ وذلك نظرا للجموع الغفيرة التي قصدت زاويتها للتعزية.
3-الويدان: تقصد بها الوفود والجموع البشرية التي جاءت للتعزية.

المبحث الثاني:

دراسة النماذج:

لما كانت شعوبنا العربية تميل بطبيعتها إلى القص، بل هي مغرمة بذلك، فإن القصص الشعبي، أو بالأحرى الرواة المغرمين بالقص لم يقفوا جامدين إزاء هذا التطور، بل أنهم أخذوا يروون نماذج أخرى يحب الشعب أن يستمع إليها لأنها أصبحت تلبي احتياجاته النفسية، "وما أروع أن نستكشف في الأدب الشعبي خلجات الشعوب النفسية واهتماماتهم الروحية، بعد أن كانت محجوبة عنا"[1]، إذ لا شك أن أي تعبير شعبي إنما ينبع من احتياج نفسي لهذا التعبير، وهذا ما نلمسه في حكايات الأولياء والصالحين التي تكشف عن شخصية ونفسية الجماعات الشعبية وتعكس لنا بكل جلاء ووضوح ما تعانيه هذه الجماعات من حرمان في شتى المجالات، إذ يتناقل الكثير منهم عشرات القصص عن دور الأولياء في تحقيق أمالهم وطلباتهم، "فمن أضاع جمله فنادى على الولي ونذر له نذرا فوجده حالا، ومن ظلمه ظالم فنادى الولي فانتقم له من ظالمه، ومن ظل طريقه فاستنجد بأحد الأولياء فحضر الولي في صورة رجل عادي ودلّه على الطريق ثم اختفى"[2].

ولكل حكاية شعبية من حكايات الأولياء والصالحين دلالتها النفسية التي تعبر عن ذلك الارتباط الروحي بين الزائر والولي أو بين المريد وشيخه، حيث يعبر ذلك الارتباط عن مدى تعلق الزائر وتسليمه المطلق للولي، وقد لا يظهر ذلك الارتباط الروحي جليا في ظاهر الحكاية وإنما هو موجود في كوامنها وباطنها.

وسأتطرق في هذا المبحث إلى دراسة وتحليل بعض النماذج التي جمعتها حول لالة تركية والتي في مجملها تعد تعبيرا مباشرا عن مشكلات الناس النفسية، وتعكس لنا ذلك الارتباط الروحي بين الأوساط الشعبية وهذه الولية.

1-نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، ط03 مصر، دت، ص03.
2-بركات حليم، المجتمع العرب المعاصر، مرجع سابق، ص260.

النموذج الأول: القصيدة الشعبية[1] "يا لالة تركية":

الدلالة النفسية لهذه القصيدة:

سبق أن ذكرت أن هذه القصيدة الشعبية التي تغنّت بها إحدى نساء المنطقة، قد خلّدت هذه الولية الصالحة وزادتها شهرة داخل الوطن وحتى خارجه إذ تغنى بها العديد من الفنانين، نظر لما كانت تحمله من طابع شعبي عريق.

وقد قالت هذه المرأة في مدح لالة تركية هذه الأبيات:

يا لالة يا تركيـــة   وأنا سْمعت البندير

لا صحة لا ذريـــة   وتْعاونيني بالخيـر

نمشي وْ رَاسـي عريـان   ومّـا[2] اتبّعْ فيّا

والغايطة والبنـديـر   عند لالة تركيـة

أحْنـا رُحْنـا زِيّـار   أُوْقَاصدين بالنيّـة

أحْنا رُحْنا زِيّـــار   عَندْ لالة تركيـة

يا لالة يا تركيـــة   وأنا سْمعت البندير

لا صحة لا ذريـــة   وتْعاونيني بالخيـر

"طَلّيت"[3] منْ راس الْكاف   شفت الحَوْش أمْجَيّر

شفت "أحْمَيدة"[4] عسـاس   والمرابطـة تركيـة

يالالة يا تركيـــة   وأنا سْمعت البنديـر

1- قصة هذه القصيدة :أنظر الملحق ص109

2- مّا: أمي

3- طلّيت: رأيت

4-أحميدة: الابن الوحيد للمرابطة تركية توفى سنة 1975.

لا صحة لا ذريـــة وتْعاونيـنـي بالخيـر

أحْمَيدة قاعد علْـكُـرْسِي والمْرابطة "أدُّور[1]" أعْلِيه

"خيرة"[2] أتْسَرْبِي فلْقَهْـوة وتْقول معروف أعْليـه

يا ربي جيب القهـــوة وِيْجْي أمْعاها "رُشْراش"[3]

نشرب فنجال أمْعـطّـر يقْلعْلي وجْـع الرّاس

يا لالة يا تركيـــة وأنا سْمعت البنديـر

لا صحة لا ذريـــة وتْعاونيـنـي بالخيـر

يا لالة يا تركيـــة منْ صابْنِي نخْدم فيك

أنْفَرّشْـلك ونْغَـطِّـيك ونْزيد نغسل رجليك

يا لالة يا تركيـــة وأنا سمعت البنديـر

لا صحة لا ذريـــة وتْعاونيـنـي بالخيـر

البـارح شـفت أمْنـام شفت أطْبيب إِيْداوي فِيّا

منُّـو صبّـحت أبْخيـر ذِيك لالة تركيـــة

وقد جاءت هذه الأبيات الشعرية من "امرأة لا علاقة لها بالقراء ولا الكتابة"[4] وإنما كانت هذه الأبيات تعبيرا عن حاجتها إلى الإنجاب وعن الآلام التي كانت تعاني منها فبكت وصبرت في البيت، ولكنها لم تستطع تحمل متاعبها فخرجت دون لحاف- نمشي وراسي عريان- وحافية القدمين، تمشي بكل ما أوتيت من قوة متجهة نحو زاوية لالة تركية علّها تجد عندها ما يريحها، فمن أجل هذا خرجت وخرجت أمها خلفها، ثم راحت تسرع في

1-أدُّور: تدور.
2-خيرة: أخت لالة تركية لا زالت على قيد الحياة.
3-رُشْراش: المطر.
4-حسب شهادات أهل وعائلة لالة تركية.

خطاها وعيناها ملتصقتان تجاه زاوية لالة تركية وهي تتغنى بتلك الأبيات التي عبرت عن شعور هذه المرأة بالاطمئنان والراحة النفسية تجاه هذه الولية الصالحة، والتي تعتبر في نظرها بمثابة طبيبا نفسانيا يخفف من همومها ويكشف عنها آلامها، ويتجلى ذلك في البيت ما قبل الأخير من هذه القصيدة ورؤيتها في المنام طبيبا يعالجها، وفسرت، رؤيتها بأن ذلك الطبيب هو لالة تركية.

وكثيرا ما تربط الأوساط الشعبية الشفاء بالأحلام التي يرونها حول الأولياء، وعلى سبيل المثال – لا الحصر– قصيدة شعبية مشهورة في مدح بسيدي بومدين وهي "سيدي بومدين جَـيْـتكْ زاير، آنْـشوفك في «المْـنام» نَبْـرى" .

فالأحلام لها علاقة بالحكايات الشعبية والأساطير وهذا ما يؤكده برونو بتلهايم في قوله:" يثابر المحللون النفسيون الفرويديون على إظهار نوع المادة اللاشعورية المكبوتة أو اللامكبوته في الأساطير والحكايات الشعبية وكيف ترتبط بالأحلام وأحلام اليقظة"[1].

فعلماء النفس من أتباع فرويد يحاولون إثبات أن اللاشعور موجود بصورة خفية في الأساطير والحكايات الشعبية التي في نظرهم ترتبط ارتباطا وثيقا بالأحلام، "أما إتباع العالم النفسي يونغ يؤكدون فكرة أن الأشخاص والأحداث في الحكايات ترتبط بالأنماط الأصلية النفسية الغريبة التي ترتبط بالفكرة"[2].

وقد عمد القاص الشعبي أحيانا إلى توظيف الرموز والإشارات والدلالات العجيبة بغية الإشارة إلى قضايا معينة تعذّر البوح بها علنا لتفسير حالة واقع مظلم كقصص "كليلة ودمنة"[3]، وأحيانا أخرى يعمد القاص الشعبي إلى توظيف هذا الرموز بغية الكشف عن آلامه وهمومه وحالته النفسية.

وهذا ما نلمسه في أحداث هذه القصيدة التي تحتوي على الكثير من الرموز و الحالات النفسية الغريبة التي تمثلت في ذلك الجهد الذي كانت تقوم به هذه المرأة والمتمثل في

1-برونو بتلهايم- التحليل النفسي للحكايات الشعبية- تر: طلال حرب، دار المروج للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- 1985، ص58.

2-تيجاني الزاوي- بناء الحكاية الشعبية في الجزائر- مرجع سابق، ص92.

3-قصص كليلة دمنة مفعمة بالرموز والإيحاءات، نتيجة لاستحالة التصريح بها في ظل سلطة ظالمة.

"مسيرتها الطويلة"[1] وما يتخلل هذه المسيرة من متاعب وذلك أثناء اجتيازها الدروب الوعرة كالجبال "طلّيت منْ راس الكاف"[2] وهي بدون لحاف حافية القدمين متجهة نحو زاوية لالة تركية شاكية همومها وألامها التي زالت عنها ببركة هذه الولية الصالحة.

وقد استهلت هذه المرأة قصيدتها بوصف مغرق في الضعف والهوان والاستكانة والانكسار وذلك في قولها "لا صحة لا ذرية ... نمشي وْراسي عريان" وذلك لتنفي أي فكرة تتولد في ذهن المتلقي أو السامع في حدوث العكس، وإذا به المتلقي في نهاية هذه القصيدة يقلب هذا التوقع ويعكس فكرة ضدية تماما للفكرة الأولى، تجسدت في صورة الكرامة التي وهبها الله لهذه الولية الصالحة في شفاء هذه المرأة وهنا تتجلى قيمة الاستهلال ومكانته في قصص الكرامات وهذا ما أشارت إليه ناهضة ستار في قولها:" وتتجلى قيمة الاستهلال ومكانته في قصص الكرامات التي تعكس حدثا خارقا للعادة مشتملا على عنصر المفاجأة التي تنتهي في الغالب بصدمة الواقف على الكرامة والرائي لحدثها وهو ذاته الراوي لنا عنها"[3] مردفة "أن وجود شخصية معينة في الجملة الاستهلالية يوحي بأن لهذه الشخصية دورا في تشكيل الحدث الرئيسي للقصة"[4].

وهذا ما يبدو في هذه القصيدة التي استهلتها هذه المرأة بشخصية لالة تركية في قولها: "يا لالة يا تركية"...، فذكر هذه الولية الصالحة في مقدمة القصيدة دليل على دور مهم ستكون هي المكلّفة به و المتمثل في مداواة واستشفاء هذه المرأة المريضة.

كما أن الظروف القاسية التي مرت بها هذه المرأة جعلتها تبحث عن شفيع أو وسيط يخفف عنها ألامها ويحقق أمالها، وكان لها ذلك إذ استشفعت وتوسلت بهذه الولية الصالحة التي ببركتها شفيت هذه المرأة واسترجعت ذاكرتها ورزقها الله الإنجاب بعدما كانت تشكو

1- حسب شهادة من عاصرن هذه المرأة: كانت مسيرتها من قرية بن حماد بضواحي دائرة قصر الشلالة بولاية تيارت إلى مقر الزاوية ببلدية الرشايقة أي مسافة حوالي 30 كم.

2- هناك من يقول أنها تسلقت الجبل فعلا، وهناك من يقول أنها لم تتسلق هذا الجبل ولكنها تخيلت نفسها أنها تسلقت الجبل من أجل رؤية لالة تركية وذلك حتى تعبر عن مدى تعلقها وارتباطها بلالة تركية

3- ناهضة ستار- بنية السرد في القصص الصوفي - مطبعة اتحاد الكتاب العرب- دمشق-2003، ص92.

4-المرجع نفسه ص92.

العقم، وأصبحت من أبرّ خدم لالة تركية "أنفرشلك ونغطّيك ونزيد نغسل رجليك" وذلك اعترافا منها بفضل لالة تركية عليها وردّا للجميل بعد فك أزمتها.

ويبدو من قصة هذه المرأة التي قطعت مسيرة طويلة سالكة الدروب الوعرة كالجبال حتى تحظى بزيارة لالة تركية أن لها استعدادا نفسيا كبيرا وثقة تامة في شخصية هذه الولية الصالحة، واعتقادا راسخا في أن ما تقوم به يساهم في شفاءها وتوازنها النفسي، وهذا ما يؤكده نور الدين طوالبي في قوله: "أن الاستعدادات الداخلية للمريض عاملا مهما في الاستشفاء"[1].

ولعل المشاكل والأزمات التي مرت بها هذه المرأة كفقدانها لنعمة الصحة ونعمة الأبناء- "لاصحة لا ذرية"- جعلتها تبحث عن مكان يسوده الهدوء والطمأنينة تلجأ إليه، فلم تجد ملجأ إلا لالة تركية وزاويتها التي استقرت بها بعدما وجدت فيها سكينتها وراحتها النفسية.

فالحاجة إلى الهدوء والطمأنينة تعد من أقوى حاجات الإنسان، وأمام تعقد مشاكل الحياة الاجتماعية، فإن الأوساط الشعبية اتخذت زيارة الأولياء وأضرحتهم فضاءً للترويح عن النفس وبحثا عن حلول لمشاكلهم المستعصية، ويذكر حليم بركات في دراسة أجراها حول مسألة الاعتقاد بالأولياء في المجتمع العربي مايلي:"فليس من العجب أن تلجأ الطبقات المحرومة إلى الأولياء بحثا عن حلول لمشاكلها اليومية الاقتصادية والنفسية"[2].

فاللجوء إلى الأولياء لتحقيق الأماني والطلبات ما هي "إلا وظيفة تفريغية تمارسها هذه الطبقات أمام واقع يتسم بالتعقيد فتطلب الحلول من هؤلاء الأولياء عن طريق الأدعية فالولي مقبول عند الله وأن الله يغضب لغضبه ولا يرد له طلبا"[3].

ولا يمكن هنا إغفال الجانب الاجتماعي والذي مرتبط ارتباطا وثيقا بالجانب النفسي فالظروف الاجتماعية القاسية التي عاشتها هذه المرأة والمتمثلة في مسيرتها حافية القدمين

1-نور الدين طوالبي- في إشكالية المقدس- مرجع سابق- ص43.
2- محي الدين مختار –محاضرات في علم النفس الاجتماعي– ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر– د ت- ص 119. سبق وأن استشهدت بهذه المقولة في الفصل الأول ص:23 .
3-التيجاني القماطي- الإنسان والمقدس- دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع- صفاقس- تونس- 1994- ص78.

مكشوفة الرأس، إذ لم تتمكن حتى من امتلاك "حذاء ولحاف" دفعت بها إلى التوجه إلى لالة تركية وزاويتها لعلها ببركتها ترفع عنها هذه الحاجة والفاقة وهذا ما يؤكده نور الدين طوالبي في قوله: "فالبؤس والفقر والحرمان بجميع أشكاله ليس سوى أحد الأسباب التي تدفع هذه الأوساط للبحث عن أمل سحري يخلصها من معاناتها اليومية"[1].

وإذا رجعنا إلى كرامات أولياء "ابن مريم" فسنرى أنها انعكاس لما كان يعانيه الناس من حرمان في شتّى المجالات، فقليلا ما تجد إنسان ذلك العصر إلا وهو يشكو ضعف الحيلة وقوة الحاجة، فيتوسل عند الضريح، ملاذه، علّة يخفف عنه حدة التوتر وشدة القلق وهكذا نجد زائر اليوم عند قيامه بطقوس معينة، فإنه يشحن نفسه بطاقة روحية تساعده على تحقيق أمله الذي يصبو إليه.

فالأزمات الاجتماعية التي يمر بها بعض أفراد المجتمع وخاصة فئة النساء باعتبارهن الفئة الأكثر إقبالا على زيارة الأولياء والأضرحة، هذه الأزمات المتمثلة في مسألة الزواج العنوسة، والعقم ومشكل الطلاق وما ينجرّ عنه من أثار نفسية، كل ذلك يؤدي بهذه الفئة إلى زيارة الولي كمخرج من أزماتهن وكأمل سحري يجدن له حلا.

1-نور الدين طوالبي- في إشكالية المقدس- مرجع سابق- ص288.

النموذج الثاني: حكاية رحلتها الروحانية[1]

الدلالة النفسية لهذه الحكاية

كما سبق ذكره أن حياتها في صباها أخذت منعرجا آخر وهو خروجها من قبيلتها دون إرادتها، فساقها من ساقها من الأرواح من منطقة إلى أخرى، وهذه الحادثة الغريبة حسب الروايات التي جمعتها، وقعت معها مرتين، ويتبين لنا من خلال أحداث هذه الرحلة الروحانية، أن لالة تركية وكأنها كانت في فترة تربص دامت سنوات امتحنت فيها وفي الأخير نجحت وتحصلت على درجة ومرتبة الولاية.

فأحداث هذه الرحلة والمتمثلة في اختفائها الغريب عن عشيرتها رغم حداثة سنها وانتقالها بين الكهوف "الخلوات"، ومعاشرتها للعقارب والأفاعي، واعتمادها على الرمال والنبات في قوتها، وغيرها من الأحداث العجيبة والغريبة التي حدثت لها في هذه الرحلة تشير إلى المتاهات التي ما تزال تتمثل في العالم النفسي لهذه المرأة، وعليه لكي تصل هذه المرأة إلى هدفها المنشود - والمتمثل في نظري في "حصولها على مرتبة ودرجة الولاية"[2]- يجب عليها أن تجتاز كل هذه العقبات والمتاهات، بما فيها من ظلمات الخلوات التي سكنتهم أو الوحوش التي عاشرتهم، أو تجتاز حتى خطر ذلك الصياد الذي كان رفقة صاحبه، ولما رآها تمشي في البراري وبعدما جرى نزاعا بينه وبين صاحبه حول هذه المرأة "هل هي امرأة أم روحانية" قام بتتبع خطواتها إلى أن دخلت خلوتها، عندئذ صوب بندقيته تجاهها ورمى وإذا به يقتل نفسه وصاحبه وبقيت هذه المرأة على قيد الحياة.

وتمثل لالة تركية في هذه الرحلة شخصية البطل "الذي يتسم بالبطولة وبالتفاؤل والإيجابية في سلوكه وقدرته على تخطي كل الم وكل شرّ"[3]، فالبطولة تجسدت في تحدّيها للصعاب والمخاطر التي واجهتها في رحلتها، وتفاؤلها في هذه الرحلة ربما يبدو في تلك

1-أنظر الملحق: ص 97، 100، 101 .

2-أشار أبو القاسم سعد الله في كتاب، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 طبعة خاصة 2007، ص489 إلى: "ما يميز سلوك المرابطين وهو الاختفاء مدة معينة عن أنظار الناس في خلوة أو خيمة ...الخ، قبل الإعلان عن دعوته"، ولعل هذا الاختفاء واعتزال الناس شرط من شروط اكتساب الولاية والكرامة وهذا ما حدث مع لالة تركية في هذه الرحلة الروحانية التي اعتزلت فيها الناس وغابت عن الأنظار لسنوات.

3-نبيلة إبراهيم -قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية- دار قباء للطباعة- مصر- 1992- ص132.

الرؤية (الحلم) التي رأتها فغالبا ما تدل الأحلام في الوسط الشعبي على البشرى والتفاؤل وحدث لها ذلك حين عودتها إلى منطقة سعيدة، وذلك لما ضاقت بها السبل ولم تجد مأوى أو مسكن يأويها، رأت تلك الرؤية وهي رؤيتها في المنام جدها سيدي عيسى الدنداني يأمرها بأن ترسل خدمها إلى سوق سعيدة فإنهم يجدون بمدخل السوق خيمة فيشترونها لها، وكان لها ذلك وتحققت رؤيتها، واستقرت في هذه الخيمة فترة من الزمن. "فصاحب الحلم في هذه الحالة إنما يشبه الرسام الذي يظل يرسم الخطوط المختلطة حتى تتضح له الرؤية في النهاية في شكل منظم"[1].

أما سلوكها الايجابي في هذه الرحلة فتجسد في رفضها الجلوس مع المرأة "أخْديمتها" التي ارتحلت معها، لما طلبت منها ذلك، بحجة أن هذه المرأة كانت معاشرة للجن، فقالت لها لالة تركية:"أنْتـي راكي ساكْنة مع الجْنون وأنا راني ساكْنة مع القرآن، أنا قُرآني مَانْفرّطشْ فيه" وهذا دليل على صفاء ونقاء سريرتها.

وقد سلكت لالة تركية في هذه الرحلة طريقها على غير هدى، أي طريق غير محدد وهذا تعبيرا عن ولوجها عالم آخر غير عالمها المعتادة عليه أو في مرحلة أخرى، وهي مرحلة انسلاخها من حالة الشعور إلى حالة اللاشعور، حيث عاشت في هذه الرحلة شبه غيبوبة، وإن شعرت بقوة روحانية تدفعها إلى التغيير، أي تدفع بها إلى تغيير وضعها من امرأة عادية لا كرامات لها إلى ولية صاحبة كرامات ومكاشفات.

والغيبوبة في نظر نبيلة إبراهيم هي "مرحلة نفسية أي مرحلة من التجارب النفسية يكون البطل فيها في شبه غيبوبة وإن شعر بقوة تدفعه إلى التغيير"[2] وقد أشار "يونغ" العالم النفساني إلى هذه القوة التي تدفع إلى التغيير في قوله: "إن القوى المتدفقة في اللاشعور هي التي تدفع الإنسان نحو الحركة لخوض التجارب حتى يصل إلى الكل الكامل، أي حتى يصل الإنسان إلى مرحلة الانسجام التام مع الوجود الكلي، فإنه يمر في رحلة نفسية طويلة"[3].

1-المرجع السابق- ص136.
2- نبيلة إبراهيم، المرجع نفسه، ص140.
3-نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، المكتبة الأكاديمية، ط:01، القاهرة 1994، ص221.

فكانت لالة تركية في هذه الرحلة تعيش حالة منعزلة عن شعورها أي عن عالمها الذي ألفته "عالم الإنس"، حيث كانت "ترى الناس ولا يراها الناس" وذلك حسب ما نقلته لي إحدى "راويات"[1] هذه الرحلة.

وتمكنت لالة تركية في هذه الرحلة من التخلص من تلك القوة الروحانية التي أسرتها فترة من الزمن وغيّبتها عن أهلها وعن عالمها البشري الذي ألفته، وذلك حين وصولها إلى المغرب "فاس"، و بمجرد اغترافها كميات من الماء، انقشعت عنها تلك الحالة اللاشعورية "شبه غيبوبة"، وعادت إلى عالمها وواقعها الذي نشأت فيه وغابت عنه فترة من الزمن.

ومثل هذه الحكاية المفعمة بالخوارق والأحداث العجيبة تخدم غرضا نفسيا واحدا وهو الكشف عن تجارب اللاشعور وصراعه مع الشعور من أجل الوصول بالإنسان إلى شخصيته الكاملة[2]، أي الانتقال من مرحلة اللاتوازن إلى مرحلة التوازن.

وهكذا نرى كيف تتحدث هذه الحكاية عن تجارب النفس الإنسانية من خلال الصور المتتابعة "أحداث الحكاية"، إذ بدأت سلسلة هذه الأحداث من صورة هذه المرأة، أنها امرأة أو طفلة صغيرة كانت تقرأ القرآن الكريم رفقة الطلبة، وفجأة ترتحل وتخرج من هذا العالم الحسي المرئي إلى عالم آخر تواجه فيه المخاطر والصعاب، إلى إن تنتهي بنا سلسلة الأحداث إلى حالة هذه الطفلة التي كانت امرأة عادية لا تتجاوز شهرتها القرية التي تسكنها ثم أصبحت بعد اجتيازها الصعاب و العقبات أكثر ذيوعا وشهرة عبر كامل التراب الوطني.

1-الراوية: بوقلمونة أفْريحة، السن75 سنة، زوجة أخ لالة تركية الشهيد.
2- نبيلة إبراهيم– قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية– مرجع سابق– ص 209 .

النموذج الثالث: "حكاية منام القاورية"[1]

الدلالة النفسية لهذه الحكاية

إن هذه الحكاية تبين لنا مدى المنزلة والمكانة التي حظيت بها لالة تركية، ليس داخل الوطن فحسب، بل حتى خارج بيئتها ووطنها، وهذا ما تؤكده هذه الحكاية العجيبة والغريبة والتي تكمن غرابتها في ذلك التعلق والارتباط الروحي لهذه المرأة المسيحية بلالة تركية رغم أنها تعيش في بيئة مسيحية تختلف عن بيئة لالة تركية، ولم يسبق لها معرفة ورؤية لالة تركية إطلاقا.

إن هذه المرأة المسيحية تحظى بمكانة كبيرة في بيئتها ووسطها المسيحي، إذ تعتبر قبلة لكل مريض يقصدها فتداويه، ولكل ذي حاجة فتسد حاجته وهذا حسب شهادات أهل المرابطة تركية الذين تبادلوا معها الزيارات، ولعل جارتها في ذلك الوسط المسيحي والمحبة للالة تركية، تكون قد قصّت عليها بعض فضائل و مزايا وكرامات لالة تركية وأعمالها الخيرية، وهذا ما جعلها ربما تتأثر وتتعلق وترتبط بهذه الولية الصالحة، هذا الارتباط الروحي الذي تجسد في رؤيتها في المنام هذه الولية الصالحة.

وتكمن الدلالة النفسية في هذه الحكاية، في هذه الرؤية التي عبرت عن الرغبات النفسية المكبوتة لهذه المرأة المسيحية تجاه لالة تركية وهذا ما تعبر عنه الأحلام حسب رأي سيغموند فرويد في قوله:"إن الأحلام تعتبر تخفية رمزية عن الرغبات الكامنة المكبوتة"[2].

إن حلم "منام" هذه المرأة يحمل في طياته معاني ودلالات خفية متمثلة في شعور هذه المرأة بالاطمئنان تجاه لالة تركية ورغبتها في زيارتها والتعرف عليها، وهذا ما تحقق فعلا، إذ بعد هذه الرؤية مباشرة زارت هذه المرأة المسيحية مع صديقاتها لالة تركية وتعرّفن عليها وأسلمن على يدها، وارتبطن بها ارتباطا وثيقا ولم تنقطع زيارتهن لهذه الولية حتى بعد وفاتها.

1-أنظر الملحق :ص 110 .

2-د. دورسون -نظريات الفولكلور المعاصرة- تر: محمد الجوهري - حسن الشامي- دار الكتب للجامعية- ص103-104.

ولقد تعددت الأحلام والرؤى حول هذه الولية الصالحة، فمنهم من رآها في حلمه فباع لها مزرعته"[1]، ومنهم من رآها في منامه فمدحها في "قصيدة"[2] وغيرها من الأحلام والرؤى العديدة التي نسجت حول هذه المرأة، ويطلق على هذه الحكايات أو القصص الناتجة والمستخلصة من الرؤى والأحلام حسب تعبير ناهضة ستار "القصص الرؤياوية التي لا نجد فيها ما يشير إلى خاتمة مأساوية لحقت مصير أي من الشيوخ المرئيين في الحلم، معنى ذلك، أن صياغة هذا النمط من القصص ورد بدافع نفسي تطميني"[3].

ومن وجهة نظر نفسية "يرى علم النفس الحديث أن انشغال النفس الإنسانية برافد ثقافي معين، ديني، سياسي، اجتماعي، تستمد منه وجودها وقيمتها وانتماءها، فذلك يفسح المجال أمام قوى اللاوعي كي تختزن كمّا هائلا من مفردات هذه الثقافة، وتعاليمها وأطروحاتها واسانيدها، فتطفو في الرؤى والأحلام كمحاولة استرجاعية توفر لذة للحالم بمصاحبة من يحب أو استعجال الثواب الذي قرأ عنه وتثقف عليه من لدن شيوخه أو حتى الاطمئنان إلى صحة المبدأ الذي أعتقه"[4].

النموذج الرابع: "حكاية الفرد لبقع"[5]

الدلالة النفسية لهذه الحكاية

لقد ساد في الأوساط الشعبية أن أولياء الله ينفعون ويضرون فهم رجال الله الصالحين والمقربين إليه، لهم إمكانيات الاتصال به أكثر من غيرهم ولهم أفعال خارقة وكرامات ويظل ضريحهم رمزا لهذه القدرة الفعالة، و قدرتهم على فعل الخير يقابلها العقاب العسير لكل من يتعرض لهم أو يغضبهم.

1-أنظر الملحق : حكاية شراء المزرعة ص 104، 105 .

2-قصيدة ألفها وكتبها أستاذ عراقي متقاعد، مقيم بولاية تيارت، حول لالة تركية و ذلك بعد رؤيته لها في المنام، أنظر الملحق : ص 137 .

3-ناهضة ستار -بنية السرد في القصص الصوفي- مرجع سابق- ص104 .

4-المرجع نفسه- ص101، نقلا عن -تفسير الأحلام لسيغموند فرويد- تر: مصطفى صفوان- دار المعارف- مصر- 1950، ص35.

5-أنظر الملحق : ص 107 .

وهذا ما نلمسه في هذه الحكاية والتي جرت أحداثها أثناء ثورة التحرير وذلك لما شك بعض مجاهدي المنطقة في إخلاص لالة تركية لوطنها وأنها مجرد خائنة تدعى الولاية والصلاح، فطلبوا منها أن تحضر لهم "فرد أبقع"[1] مع علمهم أنها تملك البقرات فقط، أي أرادوا بذلك امتحانها، هل هي "أمرابطة" فعلا مخلصة لوطنها، أم أنها مجرد خائنة وعميلة للمستعمر تدّعي الصلاح، ولكن بمنّ الله ولطفه على هذه الولية أحضرت لهم هذا الحيوان وتحدتهم بقولها: إذا كنت "بيّاعة راكُم تَذبْحُو الفرد"[2]: فلما همّ أحدهم بذبحه وفجأة ابتلعهم جميعا، وبعد ذلك عفت عنهم... وكان هذا جزاء من تعرض وشك في إخلاص لالة تركية لوطنها.

وتفسر الأوساط الشعبية هذه المواهب الخارقة بأنها منحة من عند الله، يهبها لمن يحسن إليه، والمأثورات الشعبية المعروفة في معظم مناطق الجزائر تجعل للأولياء من الصفات المذهلة والخوارق المعجزة ما لا يختلف كثيرا عن معجزات الأنبياء"[3].

ونلمس في هذه الحكاية القدرة الخارقة والمذهلة التي وهبها الله لهذه الولية الصالحة والتي بفضلها أحضرت لمن أرادوا التشكيك في صلاحها وإخلاصها للوطن هذا الحيوان الذي ابتلعهم، فهذه القدرة جعلت الأوساط الشعبية تهرع إلى هذه المرأة لتخفف عنهم ألامهم وتحقق أمالهم.

ولعل أغلب المستمعين لهذه الحكاية لا يؤمنون بحقيقتها وواقعيتها رغم مشاهدة ومعايشة راوية هذه الحكاية لهذه الحادثة وتأكيدها لي أنها حدثت فعلا، "ومن الواضح أن هذه الحكاية لا تهدف إلى إقناع الناس بأن هذا قد حدث بالفعل، بل تهدف إلى تأكيد تأثير قدرة الأولياء في حياة الناس"[4].

1-ثور أبقع: وأبقع كلمة عامية تطلق على صاحب اللونين الأبيض والأسود .
2-تقصد: إذ كنت خائنة فإنكم تتمكنوا من ذبح هذا الحيوان.
3-تيجاني الزاوي، بناء الحكاية الشعبية في الجزائر، مرجع السابق، ص148.
4-نبيلة ابراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، مرجع سابق، ص200-201.

النموذج الخامس: "حكاية أمباركة القصراوية"[1]

الدلالة النفسية لهذه الحكاية:

إن مضمون هذه الحكاية يدور حول حادثة سرقة وقعت في زاوية لالة تركية بطلتها هذه المرأة "أمباركة القصراوية"[2] التي سرقت مجوهرات إحدى الزائرات، ولكن ببركة لالة تركية عادت هذه المجوهرات إلى صاحبتها، وحلّت لعنة لالة تركية على هذه المرأة السارقة التي مرضت وفقدت ذاكرتها، بعدما تنبأت لها لالة تركية بذلك.

والدلالة النفسية لا تكمن في هذه الصور البسيطة لأحداث هذه الحكاية وإنما تتجلى في تلك المعاني والدلالات الخفية المتمثلة في استنجاد هذه المرأة التي فقدت مجوهراتها بلالة تركية لاعتقادها الراسخ في قدرة هذه الولية الصالحة على استرجاع مجوهراتها وإزالة توترها وقلقها.

إن الثقة الكبيرة لهذه المرأة تجاه لالة تركية وتسليمها المطلق لها، جعلها تهرع إليها لتحل مشكلتها وتخفف من روعتها ولهذا نجد الأوساط الشعبية كثيرا ما تلجأ إلى الولي وتجدد التحالف معه وقت إصابتها بكارثة عامة، فتقوم هذه الأوساط بواجباتها الجماعية حيال هذا الولي، ويطلبون حمايته وتخفيف الأضرار عنهم وتحقيق آمالهم.

ونلمس في هذه الحكاية القدرة الانتقامية لهذه الولية على هذه المرأة التي سرقت وهي في حرم زاوية لالة تركية، هذا الفعل المشين أغضب لالة تركية وجعلها تنتقم من هذه المرأة السارقة وذلك في قولها، إذا كنت "بنت عَوّاس"[3] هذه المرأة التي سرقت ستفقد ذاكرتها، و تحقق تنبأ لالة تركية وانكشفت هذه المرأة أمام الحضور بفعلتها المشينة.

وبناء على ما تقدم نستنتج أن كما لهذه الولية الصالحة قدرة على فعل الخير وتحقيق أمال من لاذت إليها، لها قدرة أيضا على إلحاق الأذى والعقاب العسير على كل من يتعرض لها أو يغضبها.

1-أنظر الملحق : ص 112
2-تدعى القصراوية نسبة إلى مسقط رأسها دائرة قصر البخاري ولاية المدية.
3-بنت عواس: بنت سيدي عيسى.

النموذج السادس: "حكاية المجاهدون"[1]

الدلالة النفسية لهذه الحكاية:

إن هذه الحكاية تعكس لنا بكل جلاء ووضوح الدور الكبير الذي كانت تقوم به لالة تركية في إيواء وحماية المجاهدين أثناء ثورة التحرير حيث كانت زاويتها ملاذا للمجاهدين ومكانا آمنا لعقد تجمعاتهم.

والدلالة النفسية في هذه الحكاية تتجلى في تلك القوة الروحانية الخارقة التي منحها الله تعالى للمرابطة تركية والتي بفضلها أعمت أبصار العساكر الفرنسية عن رؤية المجاهدين الجالسين مع لالة تركية وأختها، هذه العساكر التي رأت لالة تركية وأختها أثناء اقتحامها للزاوية، ولكن الله عزوجل أعمى أبصارها ببركة هذه الولية عن رؤية المجاهدين المجتمعين مع لالة تركية وأختها وهذه شهادة حية تشهد بها أخت لالة تركية في قولها: "المجاهدون جالسون معنا ولكن العساكر الفرنسية لا تراهم". ويعلق سليمان جوّادي على هذه الحادثة بقوله :" ...وهنا يروي الناس أن المرابطة بإشارة منها تمسخ الجنود حتى لا ينكشف أمرهم "[2].

والنماذج في هذا المجال كثيرة إذ كانت لالة تركية أثناء ثورة التحرير بمثابة صمّام أمان للمجاهدين وجدار صد في وجه المستعمر، وهذا ما يعكس لنا صورة المرأة الجزائرية الثائرة والمجاهدة التي لعبت دورا بارزا في استرجاع السيادة الوطنية والاستقلال.

1-أنظر الملحق : ص 106
2-سليمان جوّادي، المرابطة تركية : امرأة صالحة لها خوارق غريبة، جريدة الشروق العربي، مرجع سبق ذكره .

النموذج السابع : حكاية جوندارك[1]

الدلالة النفسية لهذه الحكاية:

إن هذه الحكاية تعكس لنا تلك المنزلة والمكانة التي حظيت بها لالة تركية ليست عند أتباعها ومحبيها فحسب بل حتى عند العدو الذي أعترف بقوتها وسلطتها واستحالة مقاومتها و التغلب عليها حتى لقبها بجوندارك.

وتكمن الدلالة النفسية في هذه الحكاية كذلك في تلك القدرة الخارقة التي وهبها الله لهذه الولية والتي بفضلها عجزت المدافع التي نصبها المستعمر الفرنسي عن قصف زاويتها بعد أن امتلأت هذه المدافع ماءً أمام حيرة ودهشة القائد الفرنسي لهذه الحادثة الغريبة التي جعلته يعترف بأن هذه المرأة امرأة غير عادية و لقبها بهذا اللقب البطولي جوندارك .

وهذا النموذج يبين لنا كذلك دور هذه الولية أثناء ثورة التحرير في مواجهة ومقاومة المستعمر الذي رغم ما يمتلكه من عدة وعتاد إلا أنه وقف عاجزا على مواجهتها ومقاومتها .

وهذه الحكاية تعكس لنا أيضا الدور الكبير الذي كانت تقوم به المرأة الجزائرية إبان ثورة التحرير تلك المرأة الصامدة والثائرة والتي يكفيها سموا وعظمة أنها أنجبت أكثر من مليون ونصف مليون شهيد.

1-أنظر الملحق : ص 108

النموذج الثامن : حادثة الحج[1]:

الدلالة النفسية لهذه الحادثة:

إن وقائع هذه الحادثة جرت أثناء أداء لالة تركية لفريضة الحج ، وهذه الحادثة شبيهة بحكاية أمباركة القصراوية ومضمونها أن احدي النساء التي كانت برفقة لالة تركية في بيت الله الحرام تعرضت للسرقة، حيث سرقت منها أغراضها " وثائقها و أموالها" فاستنجدت بلالة تركية التي بفضل الله ومنه عليها أعادت لها أغراضها، ولكن بعد ذلك ندمت هذه الولية على فعلتها خاصة بعد أن رأت في المنام النبي الأعظم صلى الله عليه و آله يلومها ويعاتبها على فعلتها.

وتتجلي الدلالة النفسية لهذه الحادثة أولا : في صورة تلك المرأة التي لجأت وهرعت إلى لالة تركية وهي تبكي وتصرخ وتترجاها من أجل استعادة أغراضها وهذا يدل على ثقتها الكبيرة وتسليمها المطلق تجاه هذه الولية التي حلت مشكلتها وخففت من روعتها .

وثانيا : في شعور هذه الولية – بعد أن حلت مشكلة هذه المرأة وأزالت حيرتها وتوترها – بالندم وتأنيب الضمير لها ويتجلي ذلك في تلك الرؤية التي عكست حالتها النفسية المتمثلة في ندمها وشعورها بالذنب على فعلتها، فكثيرا ما تعكس أو تعبر الرؤى أو الأحلام عن الحالة الشعورية لصاحب الحلم.

وفي ختام هذا المبحث نستنتج أن للعامل النفسي والروحي دور كبير في إقبال الناس على هذه الولية الصالحة والتعلق بها، فحاجة الإنسان |إلى الاستقرار النفسي تدفع به إلى إيجاد وسطاء بينه وبين الله لإعتقاده في تميزهم وحسن مقامهم عند الله ، حتى يقضون حاجته ويحلون مشاكله ويوفرون له الراحة والطمأنينة . و بما أن هذه الولية تملك البركة تلك الصفة المستترة والغير مرئية و التي لا يملكها إلا القليل من الناس والتي تمنح للآخرين الراغبين في التماس بركتها و المؤمنين بها ساعدتها أكثر في التفاف الناس حولها .

1- أنظر الملحق : ص 111

فيعتقدون فيها أنها ترفع الرقى المؤذية التي تعيق مشاريع الزواج عند الفتاة[1]، و على المرء إطاعتها و عدم الاستهزاء بها فهي مدعاة للخشية، فالتعاسة و الاخفاق و التحوّل عقاب و لعنة مستحقة من المرابطة على لا مبالاة الناس ازائها[2].

و لجوء المجاهدين و الكثير من ناس المنطقة إليها أثناء الاستعمار الفرنسي هو حاجتهم للحماية و الاستقرار و الأمن.[3]

فانتشار مثل هذه القصص يدفع الأفراد إلى احترام المرابطة و تصديق أقوالها و افعالها و يلجئون إليها في الأخير تحت دافع العلاج، النجاح...و تحقيق التوازن و السعادة في حياتهم أو استعادة التوازن المفقود.

و الدافع وراء كل ذلك هو حاجة انسانية تنزع نحو الكمال و السعادة و الهدوء الضروري لتوازن الأنا.

و يبقى هذا السلوك عادة ورثها الأبناء عن الأجداد خلف وراءه نوعا من الحكايات تمزج بين الخيال و الخارق الواقع لبعض الأفراد، لا تشترط نوعا من الرواة كالأنواع الأخرى من الحكايات و لا يحتاج فيها الرواة إلى استعمال الكلمات الطقوسية الافتتاحية أو الختامية بل يكفيه قوله حدث هذا معي أو سمعته و حدث فعلا، أما الجمهور المتلقي فيبقى بين مصدق لهذه الحكايات مؤمنا بواقعيتها حتى أنه يشبك يديه قائلا " أمْسلمين و مْكتفين" فهذا الفعل السحري يدفع عنه البلاء و يجلب له بركة الولي في اعتقاده كما أنّ هذه الحكايات قد تدفع البعض إلى زيارة مقامات الأولياء و عادة ما تكون هذه الفئة من فئة كبار السن وذوي المستوى المحدود، أما النوع الآخر من الجمهور فأغلبه أو بعضه لا يؤمن بالحوادث التي وقعت للأولياء بحجة أنّها لا تطابق المنطق و لا العقل والمعجزات تبقى مرتبطة بالأنبياء و لا تختلف هذه الحكايات في نظره عن الأنواع الأخرى من الحكايات خاصة تلك التي تحمل الطابع الخرافي و المستمع هذا من فئة الشباب و الجمهور المتعلم.

1- و هذا ما صرحت به المرابطة في الحوار الصحفي ، فذكرت أنها زوجت أكثر من ثمانين امرأة.
2- أنظر حكاية تحول ابن القائد " الطيب " إلى امرأة، ص: 61 - 64 .
3- أنظر الملحق : حكاية المجاهدون ص: 106

الخاتمة

خاتمة :

إن ما استخلصته من هذا البحث هو أن حكايات الأولياء و الصالحين تؤدي في مجملها غرضا نفسيا يكمن في تخفيف هموم وألام الناس وتحقيق أمالهم وأحلامهم .

ونلمس هذا بكل جلاء ووضوح في المعتقدات الشعبية الراسخة في أذهان المجتمعات الشعبية التي تعتقد بأن الأولياء واسطة بينهم و بين الله، وأنهم ينفعون ويضرون، ويقضوا الحاجات ويرفعوا الألام، والاعتقاد في عودة أرواحهم بعد الموت، وهذا كله يعتبر رافدا نفسيا لهذه المجتمعات .

وما استخلصته من هذا البحث أيضا أن الوطن الجزائري يملك تراثا شعبيا ضخما غنيا بحكايات وكرامات الأولياء المنتشرين عبر كامل التراب الوطني، هذا التراث الذي كان للطرق الصوفية الفضل في بقائه وحمايته من الزوال والاندثار و ذلك بإحياء موالد الأولياء و إقامة وعداتهم .

وما استخلصته من هذا البحث كذلك أن الوعدات حافظت بشكل كبير على هذا التراث وساهمت في بقائه واستمراره وحمته من الضياع والزوال رغم تيار العولمة الجارف ورغم تشويه الفكر الإسلامي الضيق لهذه الوعدات وذلك باعتبارها بدعة و شركا .

وما استنتجته من هذا البحث أيضا أن حكايات الأولياء والصالحين، كما عكست لنا الفكر الخرافي الذي يتشبث به بعض أفراد هذا الشعب، كعودة الأرواح بعد الموت كما سبق ذكره والإيمان بالقدرية والتسليم المطلق للأولياء، عكست لنا كذلك تمسك هؤلاء الأفراد بالقيم الإسلامية واعتقادهم في وجود المحظور الذي لا يمكن أن يتجاوزه الفرد حتى بالتساؤل عنه، أي أن هناك مغيَبات أو أشياء غيبية أظهرها الله للأولياء لا يجب الخوض فيها .

ومن أهم الاستنتاجات التي استخلصتها من هذا البحث أن هذه الولية لالة تركية لها تراثا شعبيا معتبرا يتمثل في حكاياتها وكراماتها و حكمها، هذا التراث الذي لم يزل مادة خام تنتظر من يتناولها بالدراسة وينفض عنها الغبار قبل اندثارها وزوالها .

ومن الاستنتاجات أيضا أن أغلب النماذج التي جمعتها حول هذه الولية –في نظر رواتها– هي حكايات شعبية حقيقية وأحداثا واقعية، شاهدوها وعايشوها .

واستخلصت من هذا البحث كذلك أن معظم أهل المنطقة "تيهرت" بمختلف شرائحهم وتوجهاتهم – وإن كان بعضهم لا يؤمنون ولا يعتقدون بكرامات لالة تركية– يقدسون هذه الولية أو على الأقل يحترمونها ولا يجرأ أحد منهم أن ينسبها إلى فئة الدجل والشعوذة .

كما استخلصت أيضا أثناء جمع المادة القصصية حول هذه الولية، أن عشيرتها – عرش سيدي عيسى – تملك ثروة هائلة من التراث الشعبي لاسيما في مجال الشعر الشعبي هذه الثروة للأسف لم تجد من يعتني بها ويدرسها .

ومن الإستنتاجات كذلك أن هذه الولية لم تُسلط عليها الأضواء ولم تحظى باهتمام وعناية الكتاب والمثقفين عناية تليق بمكانتها ومنزلتها في الأوساط الشعبية، وما كتب عنها لم يتجاوز مقالات في بعض الصحف الوطنية.

إن هذه الولية التي لا ينكر كل من عاصرها وعايشها فضلها وأعمالها الخيرية ودورها الكبير إبان ثورة التحرير حتى لقَبها المستعمر بجوندراك فرنسا، كما لقَب قبلها حارسة القبائل لالة فاطمة أنسومر بهذا اللقب، في حاجة إلى من يكتب عنها و يدون تراثها في حاجة الى من يخلّدها في عمل تلفزيوني، ولما لا، فهي ليست أقل شأنا من حارسة القبائل لالة فاطمة أنسومر التي حظيت بهذا العمل، وخاصة أن هذه الولية مرَ على وفاتها عقدين من الزمن فقط،أي أن المادة الخام ‹‹حياتها، أعمالها الخيرية، جهادها... ..الخ ›› متوفرة وغزيرة ولا زالت تحتفظ بها الذاكرة الشعبية ولم تندثر، وفي حاجة فقط الى من ينفض عنها الغبار ويتناولها بالدراسة فيحي مواتا.

وقبل الختام أُأكد على أن ما أردته من خلال هذا البحث المتواضع هو أن يكتشف القارئ ما اكتشفته عن هذه الولية ليعلم أن تراث بلادنا تراثا ثريا غنيا بتنوعه وفي حاجة فقط الى من يحييه و ينفض عنه الغبار.

وأخيرا فمهما كانت النتائج المتوصل إليها فإنني لا أدعي الإلمام بجميع جوانب هذا البحث ولهذا لا يسعني سوى أن أعبر عن أملي الصادق في أن يكون هذا العمل الصغير بداية أعمال كبيرة يحققها الباحثون- من أبناء هذا الوطن الغيورين على تراثهم – حول هذه الولية الصالحة التي تناستها أو أهملتها الدراسات الشعبية، فأرجو أن تكون نهاية هذا البحث بداية تفتح الطريق أمام بحوث أخرى تكون أكثر دقة و عمقا.

الملحق

1- حكايات لالة تركية -

حكاية الرحلة الروحانية :

الراوية : طاهي خيرة أخت لالة تركية "من الأب والأم" .

السن : 78سنة .

المنطقة : دائرة سيدي العجال – ولاية الجلفة .

الرواية الأولى :

صاحبة تسعة سنوات "أترفدت"[1] من "أفلو"[2] مع اخديمتها وبقيت في الخلوة مدة سنة . وبعدها خرجت منها فبدأت تمشي في الجبال "وأتّبع"[3] في الغزال وتأكل في "النوّار"[4] أما أخْديمتها بقيت في الخلوة "شَدُّوها الجْنون" وهذه الخلوة بها رَوْحانية كبيرة ورَوْحانية صغيرة وأمهما التي "تدِّي وتْسَرّح" [5] والرابعة امرأة عادية مثلنا وعندما قرب الوقت الذي "تسَرّح" [6] فيه لالة تركية، خرجت صباح الاثنين باكرا تمشي قي البراري والجبال وفجأة رأوها زوج "جلابة"[7]، أحدهما قال:هذه روحانية والآخر قال: هذه ليست مشية روحانية هذه هذه امرأة، ورد عليه صاحبه بقوله: كيف يمكن أن تكون هنا امرأة في هذه الجبال والبراري الخالية فتتبّع أحدهما خطواتها إلى أن دخلت خلوتها وعندما همت بالخروج منها صوب بندقيته تُّجاهها ورمى، وفجأة انحرفت بندقيته تّجاهه وقتل نفسه، وبقيت هي على قيد الحياة. وبعدها وفي يوم الثلاثاء "أسَّرْحت" حيث روى لي أبي «أنه على الساعة الثامنة أو

1- **أترفدت : ارتحلت .**

2- **كما تقدم ذكره : ارتحلت لالة تركية مرتين، مرة ارتحلت من مسقط رأسها دوار سيدي عيسى، دائرة سيدي عيسى حاليا، ومرة ارتحلت من أفلو بولاية الأغواط .**

3- **أتبَع : تتبع .**

4- **النوّار: نوع من النبات**

5- **تدّي وتسرّح : أي تأخذ من تريد أخذه وتدخله في عالمها الروحاني فترة من الزمن، ثم تفك أسره، أي تعيده إلى عالمه العادي**

6- **تسرّح : تخرج من هذا العالم الروحاني وتعود إلى حالتها الطبيعية .**

7- **جلاّب : كلمة عامية، وهي مهنة قديمة يكلف صاحبها بأخذ مواشي أهل قريته إلى السوق لبيعها .**

التاسعة صباحا ونحن "ندرْسُو"[1] في الغنم مع عرش بني بني هلال "بسعيدة"، وفجأة – وبدون أن نشعر – ظهرت لنا ابنتي لالة تركية والدهشة تعترينا، هل نزلت من السماء أم خرجت من الأرض»[2]، وبعد ذلك أقام عليها أهلها ومحبيها الولائم واستقبلوها بالغايطة والبندير .

وبعد ذلك انكبت على قراءة القرآن رفقة "إخوتها"[3]، وفي إحدى الأيام كانت لالة تركية وأخواتها ذاهبات إلى المدرسة لقراءة القرآن وأثناء طريقهن مررن ببعض الأراضي المنشقّة أي بها شقوق فأخرجت لالة تركية من إحدى هذه الشقوق عرجون دقلة وأكلت هي وأخواتها واحتفظت إحدى أخواتها "يمينة" "بعظم الدقلة"[4] . ثم واصلن طريقهن حتى وصلن وصلن الى المدرسة فدرسن وفي المساء رجعن الى البيت، فأخبرت يمينة أمي بهذه الحادثة فلم "تصدّقها"[5] فقالت لها يمينة "هاهم لعْلَفْ في يدي" فضربتها أمها وامتعضت لالة تركية ولم يعجبها هذه التصرف من أمها، ولما سمعت أمها بامتعاضها وغضبها ضربتها أيضا، عند ذلك غضبت وجلست أمام البيت وهي تصرخ وتبكي، ثم نامت إلى أن جاء أبي - الذي كان مدعو إلى مأدبة عشاء عند أخْديمو– فدخل إلى البيت لينام وأرقدها بجانبه، ولمّا استيقظ صباحا أثناء أذان الفجر لأداء الصلاة لم يجدها، فقال لزوجته "أمها" "يا بنت إبراهيم"[6] "تركية وِيْن"[7]؟ فقالت له: تركية تخاصمت مع أخواتها وإنها خارج البيت غاضبة، فقال لها: تركية راحت الله إِيْجيب تركية "وخْداخْرة"[8]، أي "أتْرفْدت" للمرة الثانية وهي صاحبة عشرة سنوات وعادت وسنها خمسة عشر سنة، راحت وهي ترتدي عباءة "وقْمجّة[9]، وقال

1- ندرْسُو : كامة عامية تعني وضع مجموعة من الغنم في صف، ومجموعة أخرى في صف آخر تقابلها "العنق مع العنق" وتربط أعناقها بحبل وذلك من أجل حلبها وهذا العمل أيضا يقوم به الموالين عند بيع مواشيهم في السوق وذلك حتى يأتمنوا عليها من الضياع أو السرقة .

2– كلام الأب على لسان ابنته الراوية .

3– إخوتها : ذكور : يحي، عيسى . إناث : الضو، يمينة . كانوا يدرسون معها، وجميعهم توفّوا .

4 – عظم الدقلة : نواة الدقلة . وبالعامية : العلفة .

5– أي : كيف يوجد تمر في هذه الأراضي الخالية من النخيل .

6– جد لالة تركية من أمها يسمى إبراهيم، وكان أبوها ينادي أمها بهذا اللقب .

7– تركية وين : أين تركية ؟ .

8– أخرى .

9– قميص .

لي أبي: ماهي ماشْطة ماهي "أمْسبْطة"[1] "ماهي أمَسْخة، ماهي أمْقمْلة[2]، كِيما راحت بيْضة جات بيْضة وفي هذه المرة " مَارَجْعتشْ " رَوْحانية، بل راحت فقط تمشي مع الجبال والصحاري، وفي الصحراء كانت تعيش مع الأفاعي والعقارب "تُرقد بيناتهم أُوْمَايَاكْلُوهَاش"[3] وتقتات من الرمل والنوّار وتقلّد حركة الغزال، وبعد ذلك رجعت الى أبيها أبيها فمكثت عنده فترة من الزمن، إلى أن تقدم إلى خطبتها أحد أقاربها "ابن عم ابيها" المدعو سي عبد الحق إلى ابنه عبد العزيز فوافق أبوها على ذلك وتزوجت بابن عمها عبد العزيز وكان "لشيخها"[4] سي عبد الحق ثلاث نساء بارعات في النسيج،وكانت هي -لالة تركية- لا تنسج معهن، بل تنسج لوحدها خارج البيت، إذا "سدّات"[5] المنسج صباحا، لعْشِيّة إيْكُون مقْلوع، وبعذ ذلك "جاها"[6] الوقت الذي "إيْهزُّوها فيه الرْوَاحِين"، فارتحلت "أترفدت"، عند ذلك غضب شيخها وقال لأبيها "مَانقْبلْهَاش"، وطلب من ابنه أن يطلقها، ولكن ابنه "عبد العزيز" لم يشأ أن يطلقها وقال لأبيه كيف أطلق ابنة عمي؟ فطرده أبوه من البيت، ولحق بزوجته رفقة أخيه "محمد"، وواصلوا طريقهم إلى أن وصلوا إلى منطقة سعيدة عند "عرش رحمان"[7]، قالت لزوجها: أغمض عينيك "أتْعَشِّي"[8] "الْبيت"[9] مبْنِية وكان وكان ذلك فعلا، وتعلق الراوية على هذه الحادثة بقولها "ضُركْ البيت العالم الله واللّي زاد كَلْمة زاد فِي عْذَابو البيت لا أدري أبْناوها رحمان أم جات من عند ربي "، وبعد ذلك استقر زوجها "وسَلفْها"[10] بتلك الخيمة، بينما هي جاءت إلى ضواحي تيهرت مثل : عين قاسمة، السوقر "والركب في أعْقابها"[11] وكان سنها لا يتجاوز اثنين وعشرين ربيعا، وعندما

1– حافية القدمين .
2– نظيفة .
3– تنام معهم دون أن يؤذوها .
4– أب زوجها .
5– نسجت .
6– جاءها .
7– قبيلة أو عرش، يقال أنهم خدّام عرش سيدي عيسى الدنداني الذي تنحدر منه لالة تركية، ويتمركزون بضواحي : الجلفة ، الأغواط ، سعيدة .
8– ستصبح .
9– الخيمة .
10– أخ زوجها .
11– أي : الناس تمشي خلفها بالغايطة والبندير .

وصلت إلى منطقة "الرشايقة"[1] استقبلها الناس بالغايطة والبندير وبنت زاويتها بهذه المنطقة المنطقة واستقرت بها

حكاية الرحلة الروحانية :

الراوية : بوقلمونة أفْرَيْحة، زوجة طاهي عبد المالك الشهيد، أخ لالة تركية وعاصرت لالة تركية من سنة 1956الى وفاتها سنة 1993 .

السن : 75 سنة .

المنطقة : بلدية الرشايقة – ولاية تيارت .

الرواية الثانية :

أتْرفْدت مع أخْدِيمتها وهي تقرأ في القرآن، أتْرفْدت أبْلَوْحتْها من "سيدي عيسى"[2] وأثار اللوحة ظاهرة في يدها أو ذراعها، قالت لي أنا جالسة على الكرسي و"الصبيان"[3] محيطون بي يقرؤون القرآن، وتلك المرأة –أخْدِيمتها- وجدت "الجْنُون " فجلست معهم وكانت تناديني تعالي اجلسي معي، فرفضت وقلت لها "أنْتِي راكِي ساكْنة مع الجْنُون وأنا راني ساكْنة مع القرآن، أنا قرآني مَانْفرطشْ فيه" فذهبت أخْدِيمتها مع الجْنُون، أما لالة تركية فراحت تمشي في الصحاري، وكانت ترى الناس ولكن الناس لا يرونها، "عايْشة" مع "لـهْوارب"[4] كالغزال، الأرنب، الثعابين، العقارب، وتقتات من الحشيش وتشرب ماء الغدير، وفي إحدى الأيام كانوا الصيادة "زوج"[5] يصطادان في الصحراء، وكانت لالة تركية "أمْصَوْرة أغْزالة"[6] فرأوها وهمّا باصطيادها، ولمّـا شعرت لالة بهما، أخذت طريقها طريقها مسرعة إلى خلوتها، فتبعاها إلى أن دخلت خلوتها ولـمّا همّ أحدهما بإطلاق النار عليها انحرفت بندقيته تّجاهه ورمى، "فقتل نفسه وصاحبه"[7]، بعد ذلك راحت تمشي من

1– سبق التعريف بهذه المنطقة أنظر ص : 69 .
2– دوار سيدي عيسى، وحاليا دائرة سيدي عيسى بولاية المسيلة .
3– الصبيان : الأطفال .
4– كلمة عامية تطلق على الحيوانات .
5– اثنان .
6– على شكل غزالة أي تحولت إلى غزالة .
7– ذكرت لي الراوية أن آثار هذه الحادثة لا زالت باقية إلى يومنا هذا بخلوتها في منطقة سعيدة .

خلوة إلى خلوة إلى أن وصلت إلى مدينة فاس بالمغرب فأحسّت بالعطش، فوجدت حفرة فهمّت بحفرها، إلى أن خرج الماء فاغترفت سبع "غرفات"[1]، ثم "أسّرْحتْ"[2] وعادت إلى حالتها الطبيعية، وبعد ذلك رجعت من مدينة فاس وهي تمشي من منطقة إلى أخرى، حتى وصلت عند "خُدّامها" عرش بني هلال وعرش رحمان بمنطقة سعيدة والذين استقبلوها بحفاوة وفرحة كبيرة وهم يرددون "المرابطة تركية جات، بنت الحاج علي جات" وأرسلوا "القوم"[3] إلى أبيها – الذي كان يسكن بعيدا عنهم – ليبشّروه بمجيء ابنته فجاءها أبوها رفقة رفقة عائلته والفرحة تغمرهم، هم وخُدّامها الذين استقبلوها بالغايطة والبندير وبعد ذلك جاءت لالة تركية رفقة عائلتها و"خُدّامها" إلى منطقة تيارت ثم إلى منطقة الرشايقة والأركاب خلفها بالغايطة والبندير، وبنت زاويتها بهذه المنطقة واستقرت بها .

حكاية الرحلة الروحانية :

الراوية : دحماني دنية الملقبة "بالْهَوْجة" ابنة لالة تركية .

السن : 69 سنة .

المنطقة:بلدية الرشايقة ، ولاية تيارت .

الرواية الثالثة :

كانت تقرأ في القرآن وهي صاحبة العشر سنين، قالت لي -لالة تركية- كنت في المسجد أقرأ القرآن رفقة الطلبة وبجانبي طفلة "أخْدِيمْتي"، وفجأة أبْركْ الجمل في وسط المسجد، فامتطت لالة مع أخْدِيمتها هذا الجمل الذي حلّق بهما وأخذهما إلى الصحراء، وفي الصحراء وجدت لالة نفسها مع الأفاعي العقارب فقط، وكانت تعتمد في قوتها على نبات الأرض، وأحيانا -وفي النهار- كان بعض الذين تلتقي بهم صدفة يطعموها رفقة أخْدِيمتها وعند حلول الظلام تذهب رفقة أخْدِيمتها إلى الخلوة، وكان عشاءها "سَفَّة"[4] من السكر فقط

1– غرفات : حفنات .
2– خرجت من شبه غيبوبتها .
3– كلمة عامية تطلق على مجموعة من الفرسان .
4– سفّة : كلمة عامية تطلق على حفنة اليد الواحدة.

بينما أَخْدِيمتها كانت تذهب إلى "الرْوَاحِين"[1] تأكل وتشرب معهم وبقيت معهم، وكانت لالة تبيت ليلتها في تلك الخلوة، وفي الصباح لا تشعر حتى تجد نفسها في مكان اخر، "قاتلي الليلة في بلاد والصباح في بلاد"، وكانت في مسيرتها تمشي حافية ومكشوفة الرأس وبقيت على هذه الحالة الروحانية حوالي عشر سنين، ثم عادت إلى حالتها الطبيعية ورجعت إلى أهلها وعائلتها، ثم تزوجت من ابن عمها "أبي عبد العزيز" وبعد فترة من زواجها عادت لها حالتها "وأتْرفْدت" للمرة الثانية لسنوات عدّة ، وأنجبت وهي في خلوتها أختي يمينة -البنت البكر- "مْتوحْمَة أعْلِيهَا على الرَوْحَانية، عينيها خُضرْ"[2]، ثم عادت إلى حالتها الطبيعية وبعد ذلك واصلت مسيرتها إلى منطقة تيارت "عين قاسمة" ثم إلى منطقة سعيدة، والتي استقرت بها بعد أن رأت رؤية وهي: رؤيتها جدها سيدي عيسى يقول لها: قولي "للحلاّب وسْلامي"[3] اذهبا إلى سوق سعيدة ستجدان حمارا حاملا "البيت"[4] بعْمدْها "والكلب"[5] معها، وفي الصباح ذهبا الحلاّب وسْلامي إلي السوق وبمدخله وجدا البيت كما وصفتها لهما لالة تركية، فاشتروها وجاءا بها إلى لالة تركية التي نصبتها واستقرت بها، وأصبح الناس يتوافدون عليها لزيارتها والتبرك بها، ونتيجة لعدم استيعاب هذه الخيمة للجموع الغفيرة من الزوار المتوافدين على لالة تركية، قامت ببناء زاوية بمنطقة سعيدة حتى تتمكن من استيعاب محبيها الكثيرين في هذه الزاوية، لكن لم يدم مكوثها بهذه الزاوية كثيرا وذلك بعد رؤيتها في المنام أيضا جدها سيدي عيسى الدنداني، ولكن هذه المرة أمرها بالرحيل بقوله "نُوضِي مَيْزَكْ شَرْقِي مَاهُوشْ غَرْبي، الشجرة أضَّرْبتْ ولـمْعَارقْ مَازَالُو حيّين"[6]. فبعد هذه هذه الرؤية قررت الرحيل، وتخلّت عن هذه الزاوية، وجاءت إلى منطقة الرشايقة وبنت خيمتها واستقبلوها محبّيها "وخُدّامها" بالغايطة والبندير، وبعد ذلك بنت زاويتها واستقرت بها الى أن توفيت.

1– الرْواحِين : الجن .

2– يمينة لا زالت على قيد الحياة ، وهي البنت البكر للمرابطة تركية، ولدت في الخلوة، وهي – حسب شهادات عائلة المرابطة تركية– شبيهة كثيرا بأمها، ولها جمال أمها، إذ هي الوحيدة في عائلة وبنات لالة تركية التي حباها الله بعيون خضراء كعيون أمها .

3– هما من محبي و"خُدّام" لالة تركية، من عرش رحمان، ولازال أحفادهم إلى اليوم يترددون على زاوية لالة تركية.

4– الخيمة .

5– قالت لي الراوية : الكلب أعْقلنا فيه اسمه : وابو OUABOU .

6– مضمون هذه الرؤية هو : أن سيدي عيسى أمر ابنته أو حفيدته لالة تركية بتغييرهذا المقر الكائن بناحية الغرب – منطقة سعيدة – إلى ناحية الشرق، كمنطقة الرشايقة الواقعة شرق مدينة تيارت .

ملاحظة :

حسب شهادة أهلها أنه قبل ظهور هذه الولية الصالحة تنبأ بها أحد أولياء وعلماء المنطقة في ذلك الزمن وهو سي عبد القادر بن محمد القائل "راها تُخْرج طُفلة من ذرية سيدي عيسى وهي اللّي "تـحْييه إذا مات"[1] وهي اللّي أتْظهّرْ سيدي عيسى واسمْها من اسم التُرك ".

وتنبأ بظهورها كذلك أحد شعراء المنطقة وهو "سي يحي فاطمي" رحمه الله والمشهور عند أهل المنطقة وعرش سيدي عيسى، بسي يحي لعْمى لأنه كفيف، الذي قال فيها أبياتا:

هاذ العام "فزْ أعْلِينا"[2] خير من السْنِين	خرْجتْ ليْنا طُفلة "رَيْـحاوية"[3]
منْ ذرية الشيخ عيســى "بوقبريـن"[4]	أتْلهّـي في النــاس بالربانيـة
وتقعد ق مع الطُلْبَـة الزَيْنيـن	نظْروها سادات بالْعين اليقين
تقـرا فـلْعـلمْ بـمْيـاه أقْوِيـــّة	وتْقسّم الخير بِيدَيْها لثْنيـن
الله الله يا ربــي رَضّيهـا أعْليّـا	هي و"عْراشْهـا"[5] الزَيْنيـن

حكاية شراء المزرعة :

الراوية : طاهي خيرة .

1– أي إحياء ذكر جدها سيدي عيسى وإعادة هيبته بين الأعراش والقبائل .
2– مرّ أعْلينا .
3– من الريحان .
4– إضافة إلى لقب الدنداني، اشتهر سيدي عيسى كذلك بلقب بوقبرين، إذ يحكى أن عرشين من خدّامه – بعد وفاته– وفاته– تنازعا حول دفنه، وأراد كل عرش أن يدفنه بمنطقته، ولمّا نهضوا صباحا لدفنه وجدوا نعشين "جثتين" فأخذ كل عرش "جثته" ودفنها، وانتهى النزاع .
5– أي العروش والقبائل المنحدرة من نسل سيدي عيسى .

السن : 78 سنة .

المنطقة : دائرة سيدي لعجال ، ولاية الجلفة .

الرواية الأولى :

هذه المزرعة كانت لعائلة نصرانية "رجل وزوجته "، فأرادت لالة تركية شراءها حتى تبني بها زاويتها، فباعت لها "القاورية"[1] هذه المزرعة – وبتعبير الرواية القاورية هي اللِّي تَحْكَمْ – وعند المكاتبة نقضت القاورية عقد البيع –حسب الراوية- ربما لقلة المبلغ وأعادت إلى لالة دراهمها، وبعد ذلك وأثناء نومها، رأت هذه القاورية رؤية، حيث رأت في منامها إنسا أو جنّا يقول لها روحي أخرْجِي راكي تَلقاي شجرة في الجهة الغربية، وعندما نهضت صباحا وخرجت وجدت شجرة غرب منزلها، وكأنها غُرست منذ سنين، و بعد هذه الرؤية "ربطت " " القاورية" "أدُورُّو"[2] و ذهبت مع زوجها إلى المرابطة معتذرة لها وباعت له المزرعة، التي بنت فيها لالة زاويتها .

حكاية شراء المزرعة :

الراوية : بوقلمونة أفْرَيْحة .

1– النصرانية أو المسيحية .
2– عربة يستخدمها النصارى .

السن : 75 سنة .

المنطقة : بلدية الرشايقة ، ولاية تيارت .

الرواية الثانية :

هذه المزرعة بمنطقة الرشايقة هي ملك لمعمر فرنسي يدعى "جاك جوزيف"، والذي رأى رؤية، وبعد رؤيته جاء إلى لالة تركية وقال لها: "شفتك"[1] في المنام "أسْكَنْتِي فلْفِيرْمَة أنْتاعي"، ثم باع لها جزء من مزرعته وأهدى لها الجزء الباقي .

الرواية الثالثة :

الراوية : دحماني دنية الملقبة "بالهوجة" .

صاحب هذه المزرعة "الفِيرْمَة" هو نصراني يدعى جاك جوزيف، وكانت في كل سنة تخرج شجرة من وسط بيته فيقطعها، وكان في حيرة من أمره من هذه الحادثة الغريبة والعجيبة والتي لم يجد لها تفسيرا، فقال لجيرانه ولبعض سكان المنطقة "هاذْ الْفِيرْمَة خَاطْيتْنِي"[2] هاذ الْفِيرْمة يأتيها "مُرَابُو"[3] ،وكان ذلك فعلا إذ باع مزرعته إلى لالة تركية التي بنت فيها زاويتها .

ملاحظة : تعتبر الرواية الأولى الأقرب إلى الصحة، وذلك لسببين: أولا: أن الراوية طاهي خيرة شاهدت هذه الحادثة وعاشتها، عكس الراويتان "دنية، أفْريْحة " اللتان سمعتا هذه الحادثة ولم يعشنها، وثانيا: الراوية خيرة هي الأكبر سنا والأكثر ملازمة لأختها لالة تركية من الراويتين :دنية وأفْريْحة .

حكاية المجاهدون :

الراوية : طاهي خيرة .

1– رأيتك .
2– ليست لي .
3– أي أمرابط ، وباللغة الفرنسية : marabout .

السن :78 سنة .

المنطقة : دائرة سيدي لعجال ، ولاية الجلفة .

كان ابن أختي "أحْمَيْدة"[1] يساعد المجاهدين بالمال "يجمع الأموال للمجاهدين" ويساعدهم كذلك بالعلاج، فالذي يصاب منهم يأتي به إلى الزاوية ليلا لنعالجه ونداويه فيقضي هذا الجريح ليلته بالزاوية، وبمجرد شروق الشمس نأخذه إلى مكان خارج الزاوية حتى نخبئه، فيه وذلك خشية اكتشاف أمرنا من الحكومة الفرنسية التي كانت تراقب الزاوية وفي المساء نرجع هذا الجريح إلى الزاوية حتى يتمكن رفقاؤه –المجاهدين- من رؤيته والاطمئنان عليه، فتمّ إفشاء سر هؤلاء المجاهدون إلى المستعمر، بأنهم في زاوية لالة تركية للاطمئنان على صاحبهم الجريح، فجاءت العساكر الفرنسية واقتحمت الزاوية للتفتيش ودخلت إلى الغرفة التي فيها انأ وأختي "لالة تركية" والمجاهدين، فسألتنا عن المجاهدين الجالسين معنا! فأنكرنا وجودهم "المجاهدون قاعدين أمْعانا بصّحْ العسكر أنْتاع أفْرانْسا كِي إيْجِي إيْفَتّش مَايْشُوفْهُمشْ، ببركة لالة تركية"[2] .

حكاية الفرد لبقع :

الراوي : طاهي خيرة .

1– ابن لالة تركية الوحيد ، توفي سنة 1975 .

2– شهادة حية .

الفرد لبقع هو الثور ذو اللونين الأبيض والأسود .

كان المجاهدون - ولكثرة ترددهم على زاوية لالة تركية – يعلمون أن لالة تركية تملك البقرات فقط، ولا تملك أبدا "فرد أبقع" .

وفي إحدى الأيام - ونظرا لبعض المغرضين- شكّوا في أمرها بأنها ليست "أمْرابطة" وأنها "بيّاعة"[1] فأرادوا أن "يمتحنوها"[2]، فجاءها عشرة مجاهدين الى زاويتها، خمسة منهم بقوا في خارج الزاوية للحراسة ‹خوفا من اكتشاف أمرهم من المستعمر›، والخمسة الآخرين دخلوا إلى الزاوية، وقالوا للمرابطة: "رانا شارطين فيك فرد أبقع "، فقالت المرابطة إلى أخْديمها اذهب إلى المستودع ستجد فرد أبقع، فتفاجأ أخْديمها لأنه لم يرى أبدا فرد أبقع في المستودع، فذهب ولما فتح باب المستودع وجد فرد أبقع، فجاء به إلى "المرابطة"، فقالت "المرابطة "للمجاهدين "اللِّي يَذْبحْ الرَجّالة البيّاعين يذبح الفرد" أي تقصد "إذا كنت بيّاعة راكُم تذبْحُو الفرد" فلما همّ أحدهم بالذبح وفجاة "أتْسَكّرْ الفرد عليهم"[3] وهم خمسة مجاهدين، فتفاجأ أصحابهم -الذين كانوا خارج الزاوية- لما سمعوا هذه الحادثة الغريبة، فجاءوا إلى المرابطة وأخذوا يتوسّلون ويترجّونها حتى تعفو عن رفقائهم وقد قرب طلوع الفجر وربما يكشف المستعمر أمرهم، فعفت "الْمرابطة" عن رفقائهم وفكّت أسرهم من بطن هذا الحيوان، وعادوا إلى حالتهم الطبيعية، وقالت لهم: "رَاكُم أمْسَرْحِين في عشرة بصّحْ راكُم مَاتَرجْعُوش للجبل بَاش أتْجاهْدو"، فقالوا لها "أسمْحِينّا " ،فقالت لهم "لا سْماح لا وَالُو" "تربْحُوا"[4] ،فذهبوا من عندها وأثناء مسيرهم فاجأتهم العساكر الفرنسية وقضت عليهم. وكانت هذه نهاية من يستهزأ أو يشك في إخلاص وصدق لالة تركية لوطنها .

حكاية جوندارك :

الراوية : دحماني دنية الملقبة "بالهوجة" .

1– **تفشي أسرار المجاهدين .**
2– **أي هل هي أمرابطة فعلا، وتعمل بإخلاص لوطنها، أم هي مجرد مشعوذة خائنة للوطن .**
3– **ابتلعهم .**
4– **اذهبوا ، أي طردتهم .**

في إحدى الليالي ونحن بالزاوية، رأينا العساكر الفرنسية قادمة الى الزاوية وهي ترتدي "لقْشَاشبْ"[1] للتمويه فلم نعرفهم، هل هؤلاء فلاقة أي مجاهدين أو قطّاع طرق فخرج خالي "عبد المالك"[2] والسكين بيده ومعه عمي حاملا العصى و توجّها إليهم حتى التقيا معهم، فحدث بينهما شجار وتخاصم كبير لم يفك ويحل حتى دقّت صفارات الإنذار، وبعد ذلك تم اقتيادهما للتحقيق معهما، وبعدما سمعت لالة "تركية " بذلك ذهبت إلى مقر العساكر الفرنسية، وهي غاضبة قائلة لهم " كيْفاه أوْلادي أتْشدّوهم" نحن لم نعرفكم، كنا نظنّكم قطّاع طرق يريدون سرقة الزاوية، ثم التفت إليها الضابط أو القائد الفرنسي قائلا: لقد نصبنا المدافع باتّجاه الزاوية حتى نقصفها، ولكن عندما تأهبنا وهممنا بالقصف عجزت المدافع عن القصف وامتلأت ماءً و قال لها من اليوم "أنْتـي جُونْدارك أنْتاع أفْرانسا" و اعتذر لها وأطلق سراح خالي وعمي .

قصة القصيدة الشعبية :

الراوية : طاهي خيرة .

1– جمعها قَشّابية وهي الجلاّبة .
2– أخ لالة تركيّة الذي استُشهد أثناء ثورة التحرير .

صاحبة هذه القصيدة تدعى "الصّالْحِيّة"، وهي من محّبي لالة تركية ومن أبرّ خدمها ولكن زوجها المدعو "جَلْوان" كان يستهزأ بالأولياء والصالحين ولالة تركية، ويسخر من زوجته بسبب تعلّقها "بالمرابطة" تركية، وتسبّب ذلك في حدوث مشاكل بينهما، إلى أن وصل الأمر بزوجها أن يضربها بشدة على رأسها وهي في أيام "النفاس"[1]، فمرضت وفقدت ذاكرتها ودعت على زوجها بالمرض و فقدان الذاكرة كحالتها، وذلك في قولها:

نـمْشـي أُوْراسـي عـريـان "ومّـا"[2] أتّـبـعْ فِـيّـا

يا خَاوْتِي يا لُخْوان يا سَابْقِين النيّة "وتْـهَبْلُولِي جَلْوان"[3] "ويْعُود كِيمَا نَايَا"[4]

وتحققت دعوة هذه المرأة وأصبح زوجها مثلها فاقدا لذاكرته، وبقي هو وزوجته على هذه الحالة، إلى أن تشرفا بزيارة لالة تركية التي ببركتها شفي هذا الزوج وزوجته وأصبحا من أبرّ خدّامها ورزقهما الله الصحة "والذرية"[5] .

حكاية منام القاورية :

الراوية : طاهي خيرة + حفيد لالة تركية دحماني عيسى : 45 سنة .

1– أنجبت هذه المرأة قبل مرضها صبيا ولكن لم تكتب له الحياة .
2– أمـّي .
3– تقصد المرض والجنون .
4– أي يصبح مريضا مثلي .
5– لازال أبناء هذه الأسرة – الذين هم ثمار دعاء لالة تركية – متواجدون إلى الآن بالمنطقة « قرية بن حمادّ بقصر الشلالة ولاية تيارت» ومعروفون بأولاد جلوان .

هذه المرأة المسيحية تدعى "آن Anne" بسويسرا وتحظى بمكانة اجتماعية كبيرة في مدينتها ووسطها المسيحي، حيث كانت بارعة في التداوي بالأعشاب وكانت امرأة مباركة في محيطها و بيئتها المسيحية.

هذه المرأة لا تعرف لالة تركية ولم ترها إطلاقا، ولكن في إحدى الليالي رأت رؤية رأت في منامها امرأة لها سمات ومواصفات لالة تركية، ومن حسن الصدف أن جارتها "الرحمانية"[1] من محّبي وخدّام لالة تركية، فقصت رؤياها على جارتها فتفاجأت جارتها وقالت لها "هاذْ المرأة اللِّي شفْتِيها في المنام راها عَنْدنَا أحْنَا في البلاد، هَاذي راها لالة تركية"، فقالت لها القاورية يجب أن تأخذيني إليها، فجاءت بها جارتها رفقة صديقاتها - صديقات القاورية- إلى لالة تركية ولمّا شاهدت هذه المرأة المسيحية لالة تركية، تفاجأت و اندهشت وقالت هذه من رأيتها في المنام، وكان أول ما تكلمت به المرابطة مع هذه المرأة و رفيقاتها هو –أمرهن بنطق بالشهادتين– قلن كلمة "لا اله إلا الله محمد رسول الله " فنطقن جميعهن بالشهادة واعتنقن الإسلام، وخصصت المرابطة لهن مجموعة من النساء لتعليمهن أحكام الإسلام، وكانت تفهم لغتهن الفرنسية وتقول لكلّ من يحاول الترجمة "رَانِي فَاهْمتْهُم مَاكّان أعْلاه أتَرْجَمْلي" واستمرت زيارة هذه المرأة ورفيقاتها للمرابطة تركية حتى بعد وفاتها، وتعبيرا عن محبتهم وإجلالهم لهذه الولية الصالحة أرسلن بعد وفاتها "مجسما"[2] لزاويتها.

ملاحظة : هذه الحادثة وقعت في الثمانينات .

حادثة الحج :

الراوية : طاهي خيرة .

5– نسبة إلى عرش رحمان

2- أنظر الملحق ص : 125

هذه الحادثة وقعت أثناء أداء لالة تركية لمناسك الحج في سنوات السبعينات ومضمون هذه الحادثة، هو أن إحدى النساء التي كانت برفقة لالة تركية في بيت الله الحرام، سرقت أو ضاعت منها أغراضها "وثائقها- أموالها...." فهرعت هذه المرأة رفقة زوجها إلى لالة تركية، وهي تصرخ وتبكي وتترجى هي وزوجها لالة تركية أن تأتي لها بهذه الأغراض المهمة، فنادت لالة تركية –أو كما ذكرت لي راوية هذه الحادثة- "أَلْقاتْ"[1] أَعْلَى ربي والناس اللِّي مَالْكِينْها، "جَابُو الشِي اللِّي راح"[2]، وبعدها أحسّت وكأنها أذنبت وهي في مدينة رسول الله صلى الله عليه و آله، وخاصة بعد رؤيتها في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله وهو غاضب عليها، حيث "قالت لي"[3] :"شفتْ واحد لابس لخْضر" و"لْقرَادَاتْ منّا ومنّا"[4] وقال لي: أنا جدّك رسول الله "أوْلاش هاذْ الشِي إِيْصِير"[5]، وبعدها قالت لي: كتبت"أبْريّة"[6] ووضعتها تحت منبر رسول الله وقلت له "من اليوم حَاطّة أسْلاحي عَنْدَك اللِّي إِيْجِينِي ياكل ويشرب أهلا وسهلا، وحاجة أخرى مَكّانش"[7].

حكاية أمباركة القصراوية :

1– نادت .
2– أحضروا ما ضاع أو سرق .
3– أي لالة تركية قالت لأختها راوية هذه الحادثة .
4– الْقرادات : كلمة عامية وهي الرتب والأوسمة التي توضع على كتفي العسكري عند ترقيته، ودلت هنا عن مكانة وعظمة رسول الله «صلعهم» .
5– تأنيب النبي صل الله عليه وآله للالة تركية على فعلتها .
6– رسالة .
7– بعد هذه الحادثة كانت تقول لكل من يلجأ إليها من أجل استعادة ما ضاع أو سرق منه، إن شاء الله ستجده، ولا تحضره كما تفعل من قبل .

الراوي: دحماني عيسى حفيد لالة تركية "ابن ابنها" والذي– حسب شهادته– عايش هذه الحادثة وشاهدها بأم عينه .

السن: 45 سنة

المنطقة : دائرة سيدي لعجال ، ولاية الجلفة .

هذه المرأة تدعى أمباركة "القصراوية"[1]، وكانت تتردد كثيرا على لالة تركية وزاويتها، وفي إحدى الأيام وهي بزاوية لالة تركية والتي كانت تعجّ بالزائرين والزائرات قامت هذه المرأة بسرقة مجوهرات إحدى الزائرات، فهرعت هذه المرأة التي سُرقت مجوهراتها إلى لالة تركية وهي تبكي وتشكي لها ما حلّ بها – وضج "الحضور"[2] لهذا الفعل المشين- فقامت لالة تركية وببركتها بإرجاع لها مجوهراتها، وأعطت للحضور إشارة وعلامة حتى يعرفوا بها صاحبة هذا الفعل المشين "السرقة"، وهذه الإشارة هي قولها: إذا كنت بنت "عَوَّاس"[3] هذه المرأة التي سرقت إِيْرُوحلْها "سبّاط"[4] و"حَايك"[5]، و"تـهْبل"[6] وتحقق ذلك فعلا، إذ مع مرور الأيام أصبحت هذه المرأة السارقة تمشي حافية وعارية فاقدة لذاكرتها .

حادثة اتـهام حفيدها بالقتل :

1– نسبة إلى مسقط رأسها : دائرة قصر البخاري بولاية المدية .
2– أي : الزائرون والزائرات .
3– تقصد : سيدي عيسى الدنداني .
4– حذاء .
5– قطعة قماش تغطي جميع جسم المرأة، والمراد من قولها : إيْروحلها سبّاط وحايك هو فقدان ما يسترها وتبقى حافية عارية .
6– تفقد ذاكرتها .

الراوي : دحماني الحاج علي الحفيد الأكبر للالة تركية .

السن : 52 سنة .

المنطقة : بلدية الرشايقة ، تيارت .

هذه الحكاية هي– حسب شهادات أهل المرابطة وأهل المنطقة– حادثة واقعية جرت أحداثها في ثمانينات القرن الماضي، حيث ينقل لي الراوي هذه الحادثة بقوله: في سنوات الثمانينات وقعت جريمة قتل بالمنطقة حيث تم انتشال جثة مرمية في إحدى الحفر بالقرب من الزاوية "زاوية لالة تركية "، وبما أنني كنت أملك – بفضل الله وببركة لالة تركية – مالا وفيرا وانا في عزِّ سن الشباب، وأحظى بمكانة محترمة بين أفراد المنطقة باعتباري "ابن لالة تركية " فقد اثار كل هذا غيرة وحسد بعض أبناء المنطقة، الذين أدى بهم هذا الحسد والغيرة إلى تلفيق لي هذه الجريمة وذلك بمساعدة قائد الدرك الوطني بالمنطقة "الرشايقة"، فتم اقتيادي إلى السجن بمدينة تيسمسيلت والذي مكثت به ثلاثة أشهر، وأثناء مدة مكوثي بالسجن رأى قائد فرقة الدرك الوطني "ببلدية عين زارِّيت"[1] والمعروف باسم "كُولومْبو" رؤية، حيث رأى في منامه سيدي عيسى الدنداني مرتين : في المرة الأولى قال له :اذهب إلى "الخَوْنِية"[2] وقل لها: "سَرْحِيني"، فذهب هذا القائد كولومبو إلى لالة تركية وقص عليها رؤيته وطلب منها تسريحه، فرفضت لالة تركية طلبه وقالت له: انا الآن منشغلة بولدي القابع بالسجن، أما في الرؤية الثانية: فأخبره سيدي عيسى في المنام بمرتكبي هذه الجريمة وقال له أيضا اذهب إلى الخَوْنِية وقل لها "سرحيني"، فجاء هذا القائد مرة أخرى إلى لالة تركية وقص عليها رؤيته فقالت له "راك أمْسَرّحْ "، وبعد ذلك باشر هذا القائد عمله من أجل القبض على مرتكبي هذه الجريمة فردا فردا، أما لالة تركية فاتجهت إلى وكيل الجمهورية بمدينة تيسمسيلت، وحين دخولها مكتبه ثارت عليه بقولها: إن ابني بريء من هذه الجريمة فكيف لا تطلقوا سراحه؟ فأجابها وكيل الجمهورية بقوله :

1– إحدى بلديات ولاية تيارت تقع شرق الولاية بمسافة حوالي 30كم وغرب بلدية الرشايقة بمسافة حوالي 40كم.
2– أي : لالة تركية وكان هذا الاسم متداولا عند أهل المنطقة .

لازلنا نحقق معه ولم تثبت براءته وبعد إصرار وكيل الجمهورية على رأيه، قامت لالة تركية - وبفضل الله ومنّه عليها- بحرق ملفات مكتبه وإتلافها ثم –وفجأة- تحولت إلى حلوى و"قاطو"[1]، مما أثار دهشة وكيل الجمهورية الذي رضخ لطلبها واعتذر لها، فأعادت له ملفات مكتبه كما كانت . وبعدها وبفضل الله وببركة "المرابطة" خرجت من السجن دون متابعة قضائية! وعندما طلبت من وكيل الجمهورية أن يعطيني ملفي لم يجده! ثم تَمّ إلقاء القبض على جميع مرتكبي هذه الجريمة، أما قائد فرقة الدرك الوطني ببلدية الرشايقة المتواطئ مع مرتكبي هذه الجريمة، فقد حلّت عليه لعنة لالة تركية التي دعت عليه بقولها: "الله يقطع راسو"، وتحقق ذلك فعلا حيث قُطع رأسه، وذلك في فترة العشرية السوداء .

ملاحظة :

الحادثة المشهورة : قصة ابن القائد «الطيب بوزيان» ذكرتها في الفصل الثاني بروايات مختلفة، أنظر الصفحات :من 61 إلى 64، وهذه الحادثة –لشهرتها– لا يخلو بيت من سكان المنطقة، لا يعرفها أو لا يسمع بها .

كما ذكرت في الفصل الثاني كذلك قصة عن كرامتها "تكاثر الطعام"، أنظر الصفخة:55 وهذه الكرامة عُرفت واشتُهرت بها لالة تركية بحيث لا ينكرها أحد من أهل المنطقة، حيث لا تخلو أفراحهم أو أقراحهم من المرابطة تركية وذلك لحبِّهم لهذه الولية والتماس بركتها .

1- الحلويات .

2– حكايات أخرى لبعض الأولياء –

حكاية عيسى الدنداني :

الراوي : دحماني عيسى حفيد لالة تركية .

يحكى أن "سيدي أحمد بن يوسف"[1] كان قبلة للعديد من العلماء والزائرين يتوافدون عليه من كل حدب وصوب، وفي إحدى الأيام أقبلت عليه جماعة من الزائرين فرحب بها ولكن فاجأهم بقوله: لقد تركتم بنتا خلفكم اسمها "ستّي"[2] يجب أن تعودوا وتأتوني بها فرجعت هذه الجماعة إلى موطنها أو مسكنها، فوجدت هذه البنت جالسة والسباع تحيط بها فجاءت بها -والسباع لم تتعرض لهم بأذى- إلى سيدي أحمد بن يوسف، وكان من عادة سيدي أحمد بن يوسف أن يستقبل زائريه ومحبّيه من مكان أو موضع أعلى حتى يتسنّى له رؤيتهم وذلك لكثرتهم، ولكن لما رأى هذا الموكب الذي تتوسطه هذه البنت قادما نحوه، نزل من هذا الموضع الأعلى احتراما وإجلالا لهذه البنت، واستقبلها استقبالا خاصا، فوضع يده على جبهتها وقبّلها على جبهتها وعينها وبطنها، فاندهش الحضور لهذا التصرف الذي لم يشاهدوه من قبل ولم يألفوه عن شيخهم سيدي أحمد بن يوسف، فشكّوا في عفّته ونيته الصادقة، وشعر هو بذلك فقال لهم:"نيّتكم خابت" وقال: إن هذه الصبية صاحبة تسعة سنوات يخرج من بطنها ولد سخّر الله له الأعراش والأمم، ثم قال لهم وبنبرة حادة، لما قبّلت الجبهة : هذيك جبهة عيسى، ولما قبّلت العين: هذيك عين عيسى، ولما قبّلت البطن : هذاك بطن عيسى، ثم وضع إصبعه على بطن هذه البنت وقال : دندن يا عيسى في بطن أمّك، فنطق عيسى في بطن أمه وقال: "داني داني، أنا عيسى الدنداني". ولهذا عرف واشتهر بسيدي عيسى الدنداني أو الدنيدي .

1– الولي سيدي أحمد بن يوسف حارس مدينة مليانة .

2– هي لالة ستّي المتواجد ضريحها بتلمسان .

حكاية عيسى الحر :

الراوي: د حماني عيسى .

يحكى أن سيدي عيسى أثناء تجوله التقى مع سيدي أمحمد بن عَلْية وقال له: إني ذاهب إلى سي علي بن أمبارك "بالقليعة"[1] للتناظر معه في العلم والكرامات، وإذا ناديتك ولم تستطع المجيء اقصد هذا الجبل "الكاف العنيق"[2]، وقل له : إن عيسى بن أمحمد يبلغك السلام ويأمرك بأن ترحل أنت وحَجْرك وشَجْرك إلى عيسى بن أمحمد إنه في جهة "مارانغو" بالقليعة، ثم واصل سيدي عيسى طريقه إلى أن وصل عند سي علي بن أمبارك فجرت بينهما مناظرة في العلم والكرامات فتفوق عليه سي علي بن مبارك وسجنه في بطنه، عندئذ نادى سيدي عيسى على سيدي أمحمد بن عَلْية، والذي امتثل لوصية سيدي عيسى وقصد الجبل وبلّغه سلام سيدي عيسى ووصيته، وبعدها ارتحل سي أمحمد بن عَلْية مع الجبل بحجره وشجره عند سيدي عيسى المسجون في بطن سي علي بن أمبارك، فقال : سيدي أمحمد بن علية لِسِي علي بن أمبارك، لقد جئت أتفقد حال عيسى بن أمحمد المسجون في بطنك، ويجب أن تفك أسره، فقال له : سي علي بن أمبارك سأُخرِجه من الفم، فأبى سي أمحمد بن عَلْية وقال: حتى يقال عيسى "الردّاد"، فقال سي علي بن أمبارك أُخرِجه من العين، فرفض أيضا سي أمحمد بن عَلْية ذلك وقال : حتى يقال عيسى "الدمّاع"، فقال سي علي بن أمبارك أُخرِجه من الأنف، فغضب سي أمحمد بن عَلْية وقال : حتى يقال عيسى "الْمُخْنَان"، ثم قال سي أمحمد بن عَلْية لِسِي علي بن أمبارك : أَخْرجْه بين اللحم والظفر أخرج يا عيسى الحر . فخرج سيدي عيسى بين لحم وظفر سي علي بن أمبارك، أمام حيرة ودهشة هذا "الاخير"[3] .

1- إحدى دوائر ولاية البليدة .

2– حسب شهادة الراوي بقوله : ربما يتواجد هذا الجبل في الصحراء، لأن سيدي عيسى بدأ تجوله من الصحراء قبل الذهاب إلى سي علي بن أمبارك .

3- أي : سي علي بن أمبارك .

حكاية واد الشلف :

الراوي : دحماني عيسى .

مضمون هذه الحكاية يبين لنا سبب تسمية مدينة الأصنام "بالشلف" .

يحكى أن سيدي عيسى قام بزيارة العملة "خُدّامه" أَولاد أُخْلَيْف بجبل لعمور بمنطقة أفلو ليتفقدهم ويطمئن على حالتهم، فأهدوا له حصان "أمْجلّل"[1] وغنم وأفرشة وأغطية وأهدوه كذلك "أشْلَيْف"[2] من الصوف، وفي أحد الأيام كان واد الشلف هائج يفيض منه الماء، فوضع سيدي عيسى هذا: أشْلَيْف على سطح هذا الواد الهائج، فهدأ وهمد، ثم قطع الواد وقال كلمة مشهورة متداولة الى يومنا هذا:

أهْمدْ يا واد "الشّلفْ"[3]   مَاكْ ما ينْشفْ ورايك ما يتْلفْ

حكاية جبل الناقة :

الراوي : دحماني عيسى .

يحكى أن سيدي عيسى أرسل ناقة مع إحدى أبنائه "الطيب ويحيى" كهدية إلى شيخه سيدي عبد العزيز بلحاج في ضواحي يسّر ببومرداس، ولكن ولديه الطيب ويحيى لم يعجبهما هذا التصرف من أبيهما، والذي مع مرور الأيام –في نظرهما-سيصبح عرف وعادة واجبة على أبناء عرش سيدي عيسى في زيارة وإرسال الهدايا إلى أبناء عرش سيدي عبد العزيز بلحاج، الذين في نظرهما ليسوا أعظم شأنا و منزلة من أبناء عرش سيدي عيسى، ولهذا أثناء طريقهما إلى سيدي عبد العزيز بلحاج وعند وصولهما إلى إحدى الجبال، قاما "بإسدال جناحيهما"[4] على هذه الناقة و فجأة اختفت في هذا الجبل، ومن ذلك اليوم لُقّب ذلك الجبل: "بكاف الناقة" أو "جبل الناقة" .

1– أمْجلّل : كلمة عامية تعني قطعة قماش مصنوعة من الصوف تغطي جسم الحصان لتقيه من البرد .
2– أشْلَيْف : كلمة عامية تطلق على قطعة من الصوف أو الوبر تستعمل لصناعة الخيام، وتطلق أيضا على الأكياس الكبيرة التي يُخزّن فيها الصوف والوبر .
3– الشلف : يقال سميت بهذه التسمية نسبة إلى أشْليف .
4- إسدال برنسيهما

حكاية واد اللحم :

الراوي : خيار عيسى + دحماني عيسى حفيد لالة تركية .

السن : 78 سنة .

المنطقة : بلدية سرقين ، تيارت .

يحكى أن عائلة من عرش رحمان متكونة من أب وأم وصبي، كانت تريد أن تقطع "واد اللحم"[1]، من أجل زيارة سيدي عيسى ونظرا لهيجان الماء سقط الصبي وابتلعه الماء وكان أب الطفل يجيد الشعر، فبمجرد رؤية ولده يصارع الأمواج وهو يبكي ويصرخ، بدأ يرتجز ويتوسل بسيدي عيسى في قوله :

عيسى "صَبْ" [2] "أعْقابْ"[3] — "الْمزنْ" [4] عَنُّوا "راب"[5]

جبْدُو منْ الماء "قَـابْ"[6] — دَارْها [7] سيدي "بلعبـة "[8]

ملاحظة :

هذه الحادثة حسب –شهادة الراوي وشهادات أهل المنطقة – حادثة واقعية حدثت في أربعينيات القرن الماضي، وأصدق دليل على واقعيتها أن هذا الطفل الذي أنقذه الطائر، كان – قبل وفاته بسنوات فقط– يتردد كثيرا على السوق الأسبوعية لقصر الشلالة "كان قوّال[9]"

1- بضواحي مدينة سيدي عيسى بولاية المسيلة .
2- أنزل .
3- طائرالعقاب .
4- المطر .
5- نزل .
6- هذه الكلمة تتميز بها منطقة القبالة "الجلفة الأغواط وبعض ضواحي تيارت" وتعني عطشان .
7- فعلها .
8- بكل سهولة .
9- حسب شهادات أهل المنطقة ومن يعرف هذا الرجل أنه كان يعقد الحلقات الشعبية كل يوم جمعة «سوق قصر الشلالة، تيارت » –حكواتي – يروي فيها القصائد والقصص وخاصة قصص من تسبب في نجاته، أي قصص سيدي عيسى وكراماته، الذي كان يمدحه في قصائده، وكان يكثر من ذكر هذه الحادثة التي وقعت له في هذه الحلقات .

وأثار الطائر ظاهرة على خده، وكان يقول لمن يلتقي بهم من أبناء سيدي عيسى مازحا "شُوفو جدْكُم وَاشْ دَارْ فِيّا "هَالْمَارَة"[1] .

حكاية الولي " سِي بتْقَي وولده سِي المختار"[2] :

الراوية : تركية .

السن : 42 سنة .

المنطقة : قصر الشلالة ، تيارت .

"روت لي هذه المرأة أن أحد أقربائها كان مصابا بمرض في رأسه ولم يجد الأطباء علاجا لمرضه، وكما قالت الراوية "ما خلاّ لا طالب ولا طبيب" وضاقت به السبل، وفي إحدى الأيام مرّ بجانب ضريح به قبرين، فاستراح بجواره وأخذته غفوة ورأى رؤية وهي: رؤيته في المنام عصفورين تحولا إلى شيخين، فأخذ أحد الشيخين سكينا وشقّ رأس هذا المريض واخرج منه "دودة"، وبدأ الشيخ الآخر بخياطة الجرح، وتقدم الشيخ الكبير إلى المريض سائلا ألم تعرفنا؟ فأجابه المريض بأنه لا يعرفهما، فقال له –هذا الشيخ الكبير– أنا المرابط بتْقى وهذا ولدي المرابط المختار صاحبا هذان القبران، ثم استيقظ الرجل ووجد نفسه قد شفي تماما من مرضه "[3] .

"وحسب شهادة الرواية أنها سميت بتركية نسبة إلى المرابطة تركية، والسبب في ذلك أن والدتها عندما كانت حاملا بها رأت في المنام المرابطة تركية فسمت ابنتها بها، وتكمل الرواية قائلة :بسبب تسميتي عن المرابطة تركية كنت أرى أشياء غريبة، وزادت تلك الحالة عندما تزوجت وأنجبت ابنتي البكر فقد حصلت لي مواقف غريبة عند الولادة، وعندما همّت

1- كلمة عامية تعني الأثر .
2- يوجد ضريحهما بدائرة قصر الشلالة بتيارت .
3- معمري محجوبة- القصص الشعبي في منطقة تيارت- مقاربة بنيوية- مذكرة ماجستير- قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة السانيا وهران- 2011-2012 . ص : 63-64 .

الرواية بسرد تلك المواقف تدخّلت أختها وأوقفتها عن الكلام بحجة أنها إذا تذكرت تلك المواقف تمرض "[1] .

سيدي أمْحمد بن عودة :

الراوي : الغالي بن عودة .

السن: 63 سنة .

الولاية : غليزان .

يحكى أن سيدي أمحمد بن عودة في إحدى الأيام كان في مدينة معسكر، وبعد إتمامه لحفظ القرآن الكريم طلب منه شيخه بأن يقوم بمساعدة أهل الخيمة، فكان سيدي أمحمد يساعد النساء في الخياطة إذ يظهر لهن في زي كأنه امرأة، واستمر على هذه الحالة يساعد في النساء ويعمل معهم إلى أن اكتشفن أمره بأنه رجل، فاشتكين به النسوة عند شيخه فطرده، وكعقاب له علق عليه كيسا كبيرا مملوءا بالحطب والخشب، وأخذ سيدي أمحمد طريقه ماشيا والخشب يتساقط من الكيس حتى سقطت أخر خشبة في مكان به مغارة فتوقف عن المشي ومكث بهذه المغارة، والتي كان يكثر فيها من الصلاة والتعبد إلى الله وفي إحدى الأيام انفجرت "عينا"[2] في هذه المغارة . فأخرجته المياه من المغارة ومات ودفن بالقرب منها وبنيت له قبة أمام هذه المغارة، ولازالت سجادته وسبحته في هذا المكان والناس تتوافد لزيارة ضريحه والمغارة التي مكث بها للتبرك بهما .

ويروى أن هذه المغارة التي كان يتعبد بها احتمى بها العديد من الناس، "ففي إحدى الأيام وأثناء فترة الاحتلال الفرنسي -قصة واقعية- اختفى بعض المجاهدين بهذه المغارة

1- نقلا :عن معمري محجوبة، زميلتي في هذا المشروع : مشروع ماجستير: الحكاية الشعبية في الجزائر وقد ذكرتني هذه الحادثة بحادثة واقعية – حسب شهادة راويها– شبيهة بها حدثت لإحدى نساء المنطقة "قصر الشلالة " والذي سميت أيضا باسم تركية نسبة إلى المرابطة تركية، وحسب شهادة احد أفراد عائلتها، أنها كانت تتميز بأشياء غريبة كإخراج مثلا : الحلوى من صدرها وعلمها ببعض أسرار الناس وإخبارهم بها، واستمرت على هذه الحالة، إلى أن زارتها المرابطة تركية وأزالت عنها هذه الخوارق وعادت هذه المرأة إلى حالتها الطبيعية . وحاولت أن أعقد جلسة مع هذه المرأة ولكن عادات وتقاليد المنطقة حالت دون ذلك .

2- عين من الماء .

عن أنظار المستعمر الذي اقتحم هذه المغارة من اجل القبض عليهم أو قتلهم ولكن لم يرهم"[1] .

"وفي إحدى الأيام أرادوا تفجير قنابل كانت موضوعة بجسر مجاور لهذه المغارة فلم تنفجر"[2] .

سيدي لزرق :

الراوي : الغالي بن عودة .

السن : 63 سنة .

المنطقة : غليزان .

يحكى أن "سيدي لزرق "[3] كان له ستة عشرة أخا هو أصغرهم، وكانوا يأخذونه معهم لقراءة وحفظ القرآن، وبقدرة ومنٍّ من الله حفظ القران الكريم وهو نائم .

ويقول عنه والده "كُومَا"[4] لزرق داري خالية .

1- هذه الحادثة شبيهة بحادثة المجاهدين الذين اختبأوا في زاوية لالة تركية ،"حكاية المجاهدين" ص 106.
2- شبيهة بحكاية جوندارك ص 108 وذلك لما أرادوا تفجير وقصف زاوية لالة تركية .
3- يتواجد ضريحه ببلدية سيدي لزرق بضواحي غليزان .
4- لولا.

سيدي غانم :

أ-حادثة الحج :

الراوي : بووشمة معاشو .

السن : 40 سنة .

المنطقة : عين البرد ، سيدي بلعباس .

قيل أن سيدي غانم ذهب لزيارة بيت الله الحرام، وفي طريقه وقع بينه وبين أمير الركب هرج "نزاع لفظي" حول استقبال الكعبة، فاغتاظ وقسم بالله على الجبل فزال عن موضعه بإذن الله تعالى حتى ظهرت له عين الكعبة، فرفعه على إثر ذلك أمير الركب ارتفاعا عاليا في المقام، ولبّى له كل ما احتاج إليه حتى وصل الى بيت الله الحرام، حيث أدى مناسك الحج كما أمره الله عز وجل.

ب/سيدي غانم والأحلاف :

هذه الرواية نقلا عن كتاب طاوع سعد السعود ج1 للمزاري -مرجع سابق ص85

سمعت فرقة من الأحلاف بأن سيدي غانم عنده شاة من الضأن مسمنة منذ ثلاث سنين فقدموا إليه لطغيانهم وأمروه بذبحها فسألهم غيرها فأبوا، فذبحها لهم واحتسب وبشّ في وجوههم وانطرب، ولما فرغوا من الأكل وأرادوا الانصراف أنشأ يقول : حاف حاف طاف الكاف على الأحلاف، فما ينجي منهم إلا الأعمى والزحّاف، فذهبوا نحو كاف الواد وناموا في ظله، ومن شدة الحر سقط عليهم ذلك الكاف وماتوا ولم ينج منهم إلا من كان أعمى أو زحّافا كما قال سيدي غانم .



لالـــة تركيـــة



مدرسة قرآنية بزاوية لالة تركية


نســـاء من سويسرا
بعثــوا هذا الرمز
بعد وفاتها
A Lala TORKIA
que j'aimerai toujours

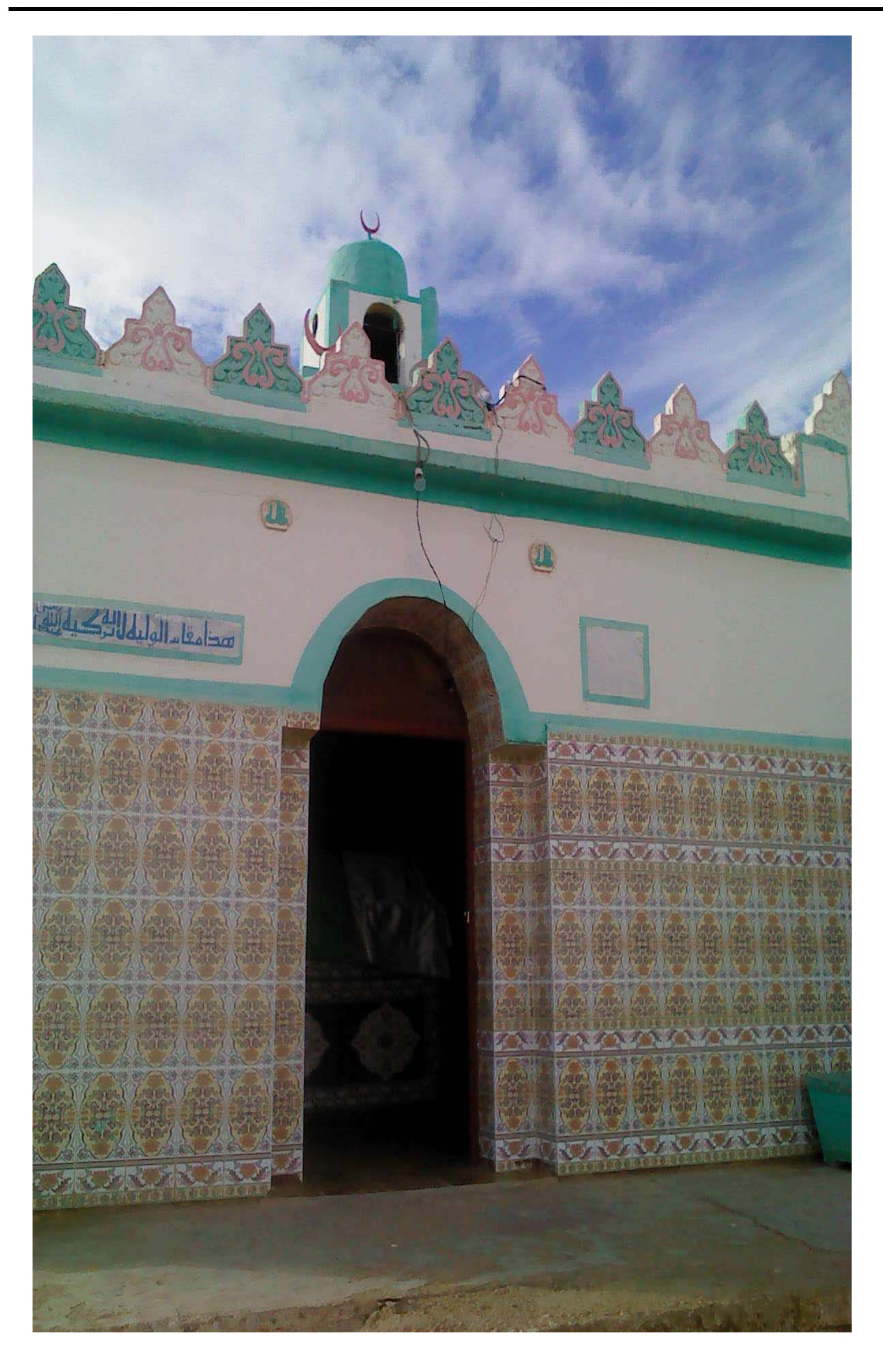
المجسم



أحْميدة ابن لالة تركية على اليسار يحتفل مع أصدقائه بذكرى الاستقلال



مجاهدو الولاية الرابعة الذين اجتمعوا عدة مرات في زاوية لالة تركية



ضريح لالة تركية



هذه الشجرة بزاوية لالة تركية كانت تقيّد فيها لالة تركية المرضى أو المجانين فترة من الزمن إلى أن يُشفون فتفك قيدهم



غرفة لالة تركية



هذه الغرفة بزاوية لالة تركية، بها سطحين: سطح علوي وسطح سفلي، وكانت لالة تركية أثناء ثورة التحرير تخبّأ فيها المجاهدين والأسلحة وذلك من خلال هذه الفتحة الموجودة بإحدى زوايا الغرفة قرب السطح السفلي والمغلقة حديثا بالآجر، حيث كانت تدخلهم من هذه الفتحة وتخبّأهم بين سطحي هذه الغرفة



غرفة دحماني عبد العزيز زوج لالة تركية



صورة لصحفي الشروق العربي سليمان جوّادي مع لالة تركية التقطتها من جريدة الشروق العربي



الشروق العربي

المرابطة

رابطة تركية

امرأة صالحة لها خوارق عجيبة

استطلاع
سليمان جوادي

الكتابة مغامرة

جريدة الشروق العربي العدد: 96 المؤرخ من 10 إلى 17 مارس 1993

حوار صحفي الشروق العربي سليمان جوادي مع لالة تركية وقد نقلته حرفيا من جريدة الشروق العربي العدد 96 المؤرخ من 10 الى 17 مارس 1993.

الشروق العربي : هل لنا أن نعرف سبب تقدير الناس لك ؟

المرابطة تركية : إنها بركة من الله وبركة من جدي سيدي عيسى بن محمد الدنداني حيث دندن في بطن أمه وهي عزباء لم تتزوج بعد وسيدي عيسى ينتهي نسبه عند سيدنا الحسن ابن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه . وسيدي عيسى صاحب كرامات وبراهين كثيرة وحبي له واعتزازي بالانتساب إليه جعل الناس تقدرني أكثر، فأنا لولا جدي لما كنت شيئا ذا بال، ثم إن حب الناس لي وتقديرهم إياي ربما يكون مبعثه أني أحب الناس جميعا، وأحب إصلاح حالهم وأدعو لهم بالخير في صلواتي .

الشروق العربي : الناس يروون عنك أشياء، كثيرة هل لأنهم يحبونك أصبحوا ينسجون حولك القصص من خيالهم، أم أنها حكايات حدثت لك فعلا ؟

المرابطة تركية : هل يمكن أن تعطني أمثلة من هذه القصص؟

الشروق العربي : الرجل الذي أصبح امرأة .

المرابطة تركية : الطيب، الجميع يعرفه، لقد حاولت أمه أن تتحداني فأريتها من تكون المرابطة تركية، "وهنا نلاحظ نوعا من الاختلاف في القصة بين ما يرويه الناس وما ترويه المرابطة"[1].

الشروق العربي : وقصة الكلاب التي أطلقها عليك الفرنسيون .

المرابطة تركية : قصة حقيقية، وأضيف إليك أنهم حاولوا استفزازي ورموني ببعض القنابل لكنها لم تنفجر، وهنا اندهش قائد العساكر وقال لي لماذا لا تأمري من ساعدك على اخماد مفعول القنابل بمساعدتنا في القضاء على الفلاقة؟

الشروق العربي : وقصة الماء الذي يتحول الى سمن .

المرابطة تركية : كنت أحول حتى المياه القذرة الى مرق لذيذ .

الشروق العربي : وقيل أنك تخرجين الحلوى من كل مكان .

1-كلام صحفي الشروق العربي .

المرابطة تركية : لم تجبني،" ولكنها من ورقة كانت في يدي أخرجت حفنة كبيرة من الحلوى أشعرتني وقتها برهبة كبيرة"[1] .

الشروق العربي : ما علاقتك بالثورة التحريرية ؟

المرابطة تركية : علاقة أي انسان يحاول أن يخرج من ظلمات الاستعمار،لقد كانت زاويتي مأوى للجنود الثوار، قد كان كثير من مسؤولي الولاية الرابعة يبيتون عندي، ولكن العناية الإلهية سترتهم من أعين العدو "وهنا يروي الناس أن المرابطة بإشارة منها تمسخ الجنود حتى لا ينكشف أمرهم"[2]، لقد كان يطلب مني الجنود الدعاء لهم بالنصر وقد كنت أفعل ذلك سواء في سري أو جهري، ومرة حين أحسست بقرب النصر قلت لجنود كانوا معي ستنتصرون بإذن الله عما قريب، لكن أرجوكم أن تقيموا الاحتفالات عندي هنا في الزاوية وبالفعل أقيمت الاحتفالات بعيد الاستقلال عندي لأيام طويلة .

الشروق العربي : يقال أنك زوجت كثيرا من خادماتك هل هذا صحيح؟

المرابطة تركية : أكثر من ثمانين امرأة زوجتها، خرجت من هنا من بيتي إلى بيت زوجها كنت أشتري لهن الحلي واللباس وأعاملهن نفس معاملتي لبناتي، بل و أفضل أحيانا وخاصة عندما يكن مطيعات .

الشروق العربي : هل تؤمنين بالمشعوذين الذين يدعون تبرئة كل داء ؟

المرابطة تركية : أنا أؤمن بالله وأحب رسول الله الكريم (ص) وأعتز بانتمائي لجدي سيدي عيسى، وهم الذين يساعدوني على فعل الخير ويساعدون من يضع النية في شخصي على الشفاء فكم من مقعد وكسيح شفي بإذن الله على يدي وأنا فخورة بذلك.

الشروق العربي : لكن لم تجبيبي على سؤالي.

المرابطة تركية : كل واحد وكيله الله وقل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين

الشروق العربي : يقال أنك نسيت القرآن الكريم فهل هذا صحيح ؟

المرابطة تركية: نعم منذ أكثر من ثلاثة سنوات رفعت إلى السماء ونسيت القرآن الكريم

1- وقعت لي حادثة شبيهة بهذه، و ذلك ـ اثناء جمعي للحكايات ـ مع أخت لالة تركية " خيرة " حيث كنت واضعا بين يدي مجموعة من الأوراق لأدون فيهم بعض الملاحظات و فجأة سلمت لي هذه المراة ـ خيرة ـ احدى هذه الأوراق و معها مبلغا من المال .

2 - كلام صحفي الشروق العربي .

قصيدة في مدح لالة تركية

من رحاب الطاهر الولية	أحيي جمعكم أجمل تحية
وفدتم عبــاد الله غُــرّا	نعم الوفادة زيارة مرضية
إذا رُمت رضا الرحمان اخفض	جناحــك عنــد قبر الوليــة
أولياء الله لا خوف عليهم	و لا يحزن جارهم أهل الحمية
الباقيات الصالحات عند ربنا	و حبيب الصالحين منهم بقية
رأينا الكرامة و أنت حية	و بعد المماة سيدة تركية
و فتى بغداد لاذ بك	ابنة السادات نسل الزكية
ابن بغداد جار لك أتخيبي	آملا نبراس الوفاء الوفية
و صل اللهم على محمد	و آله الأطهار و الصحبة النقية
و اقض حوائج هذا الركب	و خدّام المقام و الزاوية البهية
و أمطر عليهم غياث رحمتك	و أهالي البلاد الجزائرية
لقاء الأحبة ما أسنى اللقاء	قلوب تصافت و أيد سخية
و الحمد لله على جزيل نعمه	و سبحان الله بكرة و عشية

قصيدة مأخوذة من معرض زاوية لالة تركية، من إبداع ثامر سعيد الحسيني الموسوي الجوهري البغدادي التيارتي[1]، الاثنين 06 جمادى الثانية1428هـ الموافق ل18 جوان 2007 م .

1-هذا النسب كتبه مؤلف القصيدة .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريـــم .

1- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط : 04 1994.

2- ابن خلدون أبوزيد عبد الرحمان، المقدمـة، دار القلم، بيروت،1987 ..

3- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج6، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط :02، 2001 .

4- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت .

5- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق : خليل المنصور،دار الكتب العلمية بيروت، 2001 .

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، ج4،ج7، دار البصائر، الجزائر طبعة خاصة، 2007.

7- إبـراهيـم بدران، سلـوى الـخماش، دراسات فـي العقليـة العربيـة الخرافيـة، دار الحقيقة بيروت، ط: 03، 1988 .

8- أحمـد الأميـن :

- ضحى الإسلام، ج4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط : 03 1962.
- زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت .

9- أحمـد رشدي صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط :03 1973 .

10- الأبشيهي شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط : 01، 2010 .

11- اليافعي عبد الله بن أسعد، روض الرياحين في حكايات الصالحين،دار الفكر، بيروت لبنان، د ت .

12- النبهاني يوسف ابن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، ج2، المكتبة الثقافية، بيروت 1991 .

13- الخولي حسن، الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث، دار المعارف، القاهرة 1982 .

14- التيجاني القماطي، الانسان والمقدس، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس 1994.

15- الآغابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج1، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط: 01، 1990 .

16- عبد العزيز بن محمد السلمان، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، الرياض، ط : 13، 2001 .

17- عبد الحليم محمود، أبومدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1984 .

18- عبد الحميد بورايو :

- القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986 .
- الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 .

19- عبد الرحمان بوزيدة ومجموعة من المؤلفين، قاموس الأساطير الجزائرية منشورات **CRASC**، وهران 2005 .

20- علي زيغور، العقلية الصوفية ونفسانية التصوف، دار الطليعة، بيروت، 1979 .

21- غالي شكري، الإسلام والسياسة، دار موفم للنشر، الجزائر، د ت .

22- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: 07، 2001 .

23- جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن 19، 1830، 1914، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992 .

24- فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008 .

25- مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، دار الراية، الجزائر، ط : 01 2011 .

26- محمد الجوهري، علم الفلكلور، ج2، دراسة المعتقدات الشعبية، دار المعارف القاهرة ط : 1980،01 .

27- محي الدين مختار، محاضرات في علم النفس الاجتماعي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت .

28- مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه "المدخل إلى علم الاجتماع"، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1988 .

29- ناهضة ستار، بنية السرد في القصص الصوفي، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003 .

30- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1982 .

31- ناصر صبار، الفلكلور، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004 .

32- نبيلة إبراهيم:

- أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، بيروت، ط : 03، د ت .
- قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار قباء للطباعة، مصر، 1992 .
- الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط : 01 .1994

33– نور الدين طوالبي :

- الدين والطقوس والتغيرات، مشورات عويدات، بيروت، 1988 .
- إشكالية المقدس، منشورات عويدات، بيروت، 1988 .

مراجع مترجمة

01– برونو بتلهايم، التحليل النفسي للحكايات، ترجمة: طلال حرب، دار المروج بيروت،1985.

02– دورسون، نظريات الفولكلور المعاصرة، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي دار الكتب الجامعية، د ت .

03– رايمون بودون وفروانسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداد ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط : 01، 1986 .

الرسائل الجامعية

01– بن أحمد أحمد، الوعدة في الغرب الجزائري، أصولها وتطورها، دراسة اجتماعية وثقافية، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2007/2006 .

02– تيجاني الزاوي، بناء الحكاية الشعبية في الجزائر، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانيا، وهران، 2008/2007 .

03– بووشمة الهادي، الوعدة : التمثل والممارسة،دراسة أنثروبولوجية بمنطقة أولاد نهار "وعدة سيدي يحي بن صفية"، نموذجا، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة السانيا وهران 2006/2005 .

04– سيدي عابد عبد القادر، التصورات الاجتماعية لزيارة الضريح في العلاجات التقليدية، دراسة سوسيو ثقافية لضريح الولي سيدي "بوعبد الله" بوادي رهيو، رسالة ماجستير، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة وهران، 2009/2008 .

05– لطيفة بوسفات، شعر الولية الصالحة "نانا عيشة" البوداوية، جمع ودراسة، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، 2005/2004 .

06- معمري محجوبة، القصص الشعبي في منطقة تيارت، مقاربة بنيوية، مذكرة ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانيا وهران، 2012/2011 .

الدوريــات

01- بن أحمد أحمد، الوعدة بين الضوابط الدينية والممارسة الاجتماعية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العدد : 02، نوفمبر 2001 .

02- مجلة مراسلات، نشرية معهد البحوث المغاربية المعاصرة، العدد : 75، 2003.

03- بلقاسم آيت حمُّو، لالة تركية الولية الصالحة والثمرة الفالحة، جريدة الفجر، العدد: 3326 المؤرخ في 2011/09/12 .

04- سليمان جوّادي، المرابطة تركية : امرأة صالحة لها خوارق غريبة، جريدة الشروق العربي، العدد : 96 المؤرخ : من 10 إلى 17 مارس 1993 .

05- محمد بوغرارة، وعدة سيدي محمد بن عودة، موعد سنوي للفرحة والكرم والتراث جريدة الخبر، العدد : 2972 المؤرخ في 2001/09/21 .

06- محمد طواهرية، موسم الحج إلى رقان، جريدة الخبر، العدد : 2853 المؤرخ في 2000/05/06 .

مـواقـع الانترنت

01– عبد العزيز بن علال الحسني الجزائري :**Alkettanien.ahla montada.com**

02 – **Abdeldjebar2.blog sport.com**

مراجع باللغة الفرنسيــة

1- Andezian Sossie, Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine, Adeptes dans Saints la région de Tlemcen CNRS, édition Paris, 2001 .

2- Bourdieu Pierre, Sociologie de l'Algérie, 3éme édition, Puf,1970.

3- Bosquet, l'islam Maghrébin, introduction a l'étude générale de l'islams la maison des livres, Alger, 1954 .

4- Emile Dermenghem, le culte des saints l'islam maghrébin, édition Gallimard, 7éme édition, paris, 1954 .

الفهرس

الفهـــرس

الفصل الثاني : مراتب الأولياء وكراماتهم

حكايات لالة تركية

حكايات أخرى لبعض الأولياء

الصـور

ملخص

حاولت الرسالة الإحاطة بتراث هذه الولية الصالحة لالـة تركية و المتمثلة في كراماتها:" تنبؤاتها، قدرتها على الاستشفاء ، بركتها في الأفراح و الأقراح، انتقامها ممن تعرض لها بأذى ..الخ " وتاريخها البطولي إبان ثورة التحرير ، فكان أن قسمنا البحث إلى ثلاث فصول ومدونة ، جاء الفصل الأول و الثاني منه في سياق البحث التنظيري بينما عني الفصل الثالث بدراسة بعض النماذج التي جمعت حول هذه الولية.

وتمثلت المدونة في جمع الحكايات الشعبية التي تروى عن لالـة تركية وعن بعض الأولياء الذين يزخر بهم هذا الوطن .

الكلمات المفتاحية:

حكايات الأولياء؛ الوعدات؛ لالـة تركية؛ نفسية؛ الأولياء والصالحين؛ مراتب الأولياء؛ الكرامات؛ الأولياء و الجن؛ الحكاية الشعبية .